## الباب الـ الـ ع في مـ ايد الـ يـ ان الـ ي يـ يد بها ابن آدم

قال الله تعالى/(١) إخباراً عن عدوه إبليس -لما سأله عن امتناعه عن السجود لآدم، واحتجاجه بأنه خير منه، وإخراجه من الجنة- أنه سأله أن ينظره فأنظره، ثم قال عدو الله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٦-١٧].

قال جمهور المفسرين والنحاة: حذف (على) فانتصب [بالفعل](٢)، والتقدير: لأقعدن لهم على(٣) صراطك(٤)، والظاهر: أن الفعل [مُضَمّن](١)، فإن القاعد على الشيء مُلازم له،

---

(١) (٤٨/ب).

(٢) في النسخ الثلاث [الفعل]، والصواب ما أثبته، لأن الفعل لم ينتصب لأجل حذف حرف الجر، بل الذي انتصب هو الاسم وهو (صراطَ) وقد نصب بالفعل (قَعَدَ) بعد حذف حرف الجر (على).

(٣) سقط قوله: [على] من (ع).

(٤) هذا هو القول الأول في ناصب قوله ﴿صِرَٰطَكَ﴾، وهو أنه منصوب لنزع حرف الجر (على)، وقد عزاه الطبري (١٣٥/٨) لبعض نحويي البصرة، وممن اختاره: الأخفش في معاني القرآن (٣٢١/١)، والزجاج (٣٢٤/٢) وذكر أن هذا قول النحويين بلا خلاف، والنحاس في إعراب القرآن (١١٧/٢)، وفي معاني القرآن (١٦/٣)، والسمرقندي (٥٢٢/١)، والثعلبي (٢٢١/٤)، والماوردي (٢٠٦/٢)، وابن سيدة في المخصص (٢٤٦/٤)، والمحكم (٦٩/٦)، والواحدي في الوجيز (٣٨٨/١)، والسمعاني (١٦٩/٢)، والبغوي (٢١٨/٣)، وابن عطية (٣٨٠/٢)، والرازي (٣٢/١٤) ونقل اتفاق النحويين عليه، واختاره القرطبي (١٧٥/٧)، وابن منظور في اللسان (١٤١/١٥)، والخازن (٢١٤/٢)، وابن هشام في مغني اللبيب (١٩٠، ٧٥١)، وابن كثير (٣٩٤/٣)، والسيوطي في همع الهوامع (٤٤١/٢)، وضعف هذا القول السمين الحلبي في الدر المصون (٢٦٧/٥) بأن حذف حرف الجر لا يَطَّرِد، بل مخصوص بالضرورة أو الشذوذ، والقول الثاني أنه منصوب على الظرفية، والتقدير: لأقعدن لهم على طريقهم أو في طريقهم، وعزاه الطبري (١٣٥/٨) إلى بعض نحويي الكوفة، واختاره الفراء في معاني القرآن (٣٧٥/١) والطبري (١٣٥/٨)، وقال: "لأن القعود مقتض مكانا يقعد فيه، فكما يقال: قعدت في مكانك، يقال: قعدت على صراطك وفي صراطك...فلا تكاد العرب تقول ذلك في أسماء البلدان، ولا يكادون يقولون: جلست مكة، وقمت بغداد"، واختاره الزمخشري في الكشاف (٨٨/٢)، وقد ضعَّف هذا القول السمين الحلبي في الدر المصون (٢٦٧/٥) فقال: "لأن ﴿صِرَٰطَكَ﴾ ظرف مكان مختص، والظرف المكاني المختص لا يصل إليه الفعل بنفسه بل بـ(في)، تقول: صليت في المسجد، ونمت في السوق، ولا تقول: صليت المسجد، إلا فيما استثني في كتب النحو، وإن ورد غير ذلك كان شاذا كقولهم: رجع أدراجه، و(ذهبت) مع

فكأنه قال: لأَلزَمَنَّه ولأَرَصُدَنَّه ولأُعوِجَنَّه(٢) ونحو ذلك(٣).

قال ابن عباس: "دينك الواضح"(٤)، وقال ابن مسعود: "هو(٥) كتاب الله"(٦)، وقال جابر(٧): "هو الإسلام"(٨)، وقال مجاهد: "هو الحق"(١).

---

الشام خاصة، أو ضرورة"، ثم ذكر أبياتًا استخدمها العرب من باب الضرورة، وردَّ قول ابن الطرواة أن (الصراط) و(الطريق) في هذا الموضع مكانيين مبهمين، فقال السمين: "لأن المختص من الأمكنة ما له أقطار تحويه وحدود تحصره، والصراط والطريق من هذا القبيل"، والقول الثالث: هو القول بالتضمين وسيأتي، وهو اختيار المؤلف.

(١) في الأصل و(ش): [مضمر]، والصواب ما أثبته من (ع)، لأن الفعل ظاهر وليس بمضمر وهو (قعد)، لكنه ضمن معنى (لزم) ونحوها من المعاني التي أشار إليها ابن القيم، والتضمين هو: إشراب فعلٍ أو ما في معناه معنى فعلٍ آخر، وتعديه تعديته، وهذا تفعله العرب، وله عدة أمثلة في القرآن الكريم، وهو سماعي لا قياسي، وفائدته أنه أبلغ لدلالة كلمة واحدة على معنى كلمتين [انظر: مجموع الفتاوى (٣٤٢/١٣)، والبحر المحيط (٢٨١/٥)، ومغني اللبيب (٦٨٠، ٦٨٧)].

(٢) في (ع): [ولآخذنه].

(٣) واختار القول بالتضمين في هذه الآية أبو حيان في البحر المحيط (٢٧٦/٤)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٢٦٨/٥)، فالفعل (قعد) لازم، ضمن معنى فعل متعدٍ (لألزمن) فنصب قوله ﴿صِرَٰطَكَ﴾ لكونه مفعولا به، والتقدير: لألزمن صراطك المستقيم بقعودي عليه.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٠/١) بلفظ: "دينك الحق، وهو لا إله إلا الله وحده لا شريك له".

(٥) سقط قوله: [هو] من (ش).

(٦) أخرجه المروزي في السنة برقم (٢٤)، والطبري (٧٤/١)، والحاكم في المستدرك برقم(٣٠٢٣)، والثعلبي (١٢٠/١)، وأبو نعيم في الحلية (٢٦٥/٧) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووقع مرفوعا عند الأصبهاني في تاريخ أصبهان برقم (١١٠١)، وكذا أخرجه الطبري (٧٤/١) وابن أبي حاتم (٣٠/١) عن علي بن أبي طالب ﷺ، ووقع مرفوعاً عنه عند الثعلبي (١٢٠/١)، وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٠/١) عن النواس بن سمعان ﷺ مرفوعاً.

(٧) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي، أبو عبد الله الأنصاري، صحابي جليل من المكثرين من رواية الأحاديث، شهد بيعة العقبة والمشاهد بعدها، توفي سنة (٧٨)هـ [انظر: الطبقات (١٠٢) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٢٠٧/٢)، والكنى والأسماء (٤٦٦/١) للإمام مسلم].

(٨) أخرجه المروزي في السنة برقم (٢٥)، والطبري (٧٤/١)، والحاكم في المستدرك برقم (٣٠٢٤)، والثعلبي (١٢٠/١)، وفيها زيادة: "وهو أوسع مما بين السماء والأرض"، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وكذا أخرجه الطبري (٧٥/١) عن ابن عباس ﷺ وعن ابن مسعود ﷺ وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وأخرج الطبراني في الكبير برقم (١٠٤٥٤) عن ابن مسعود ﷺ قال:

والجميع عبارات عن[٢] معنى واحد، وهو الطريق الموصل إلى الله، وقد تقدم حديث سبرة بن [أبي][٣] الفاكه: ((إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه كلها...الحديث)) فما من طريق خير إلا والشيطان قاعد عليه يقطعه على السالك.

وقوله: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطية[٤] عنه: "من قبل الدنيا"[٥]، وفي رواية علي عنه: "أشككهم في آخرتهم"[١]، وكذلك قال الحسن: "من قبل

---

"الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ"، وقد ثبت في السنة تسمية الإسلام بالصراط المستقيم، فعن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال: ((ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سواران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تتفرجوا، وداعٍ يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسواران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم)) وأخرجه الترمذي في كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في مثل الله لعباده ح(٢٨٥٩)، والنسائي في الكبرى ح(١١٢٣٣)، والإمام أحمد في المسند ح(١٧٦٧١) (١٧٦٧٣)، وابن أبي عاصم في السنة ح(١٨)، والمروزي في السنة ح(١٦)، والطبري في تفسيره (٧٥/١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٩٠/٥)، وابن أبي حاتم (٣٠/١)، والآجري في الشريعة ح(١٤)، والطبراني في مسند الشاميين ح(١١٤٧)، والحاكم في المستدرك ح(٢٤٥)، قال الترمذي: "هذا حديث غريب"، وقال الحاكم: "حديث صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علّة، ولم يخرجاه"، وقال ابن كثير في تفسيره (٢٨/١): "وهو إسناد حسنٌ صحيحٌ"، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٣٨٨٧)، قال محققو مسند الإمام أحمد (١٨٢/٢٩): "حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل الحسن بن سوار، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح".

(١) أخرجه الطبري (١٣٤/٨) وابن أبي حاتم (٣٠/١)، وفي رواية عنه في الطبري (١٣٥/٨) قال: "سبيل الحق فلأضلنهم إلا قليلا"، وفي تفسير مجاهد (٢٣٢/١) قال: "يعني الإسلام الدين الحق"، وهذا يؤيد كلام ابن القيم بأن الجميع عبارات عن معنى واحد، ومن السلف من فسره بطريق مكة، كما أخرجه الواسطي في تاريخ واسط (١٥٥) عن الحسن، والطبري (١٣٤/٨) عن عون بن عبد الله .

(٢) في (ش): [على].

(٣) زيادة من (ع)، وليست في الأصل، وأثبتها لأمرين: **أولاً**: أن اسم هذا الصحابي هكذا ورد في الموضع المتقدم الذي أشار إليه ابن القيم في كلٍ من الأصل والنسخة (ع)، **ثانياً**: أن ابن القيم أحال تخريج الحديث في الموضع المتقدم على مسند أحمد، وهو في المسند بإثبات [أبي] وقد خرجته في موضعه، وبيّنت أن هذا الصحابي يقال في اسمه: بن أبي الفاكة، ويقال: بن الفاكة.

(٤) هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي، سبقت ترجمته.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٤٤/٥)، وأخرج الطبري (١٣٦/٨) من رواية عطية قال: "أما ما بين أيديهم فمن

الآخرة(٢) تكذيباً بالبعث والجنة والنار"(٣)، وقال مجاهد: "﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من حيث(٤) يبصرون"(٥).

﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ قال ابن عباس: "أرغبهم في دنياهم"(٦)، وقال الحسن: "من قبل دنياهم أزينها لهم وأشهيها إليهم"(٧)، وعن ابن عباس رواية أخرى: "من قبل الآخرة"(٨)، وقال أبو صالح(٩) : "أشككهم في الآخرة، وأباعدها عليهم"(١٠)، وقال مجاهد أيضا: "من حيث لا

---

قبلهم"، وجاء هذا في رواية أخرى أخرجها الطبري (١٣٦/٨) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: "من قبل الدنيا" وهي بنفس إسناد رواية علي بن أبي طلحة الأخرى، وممن فسره ما بين أيديهم بالدنيا إبراهيم النخعي كما أخرج الثوري (١١١) والطبري (١٣٦/٨)، وقال به الحكم والسدي وابن جريج كما أخرج الطبري (١٣٦/٨-١٣٧)، وقال به الكلبي كما أخرج السمعاني (٢٢٥/٢)، وعزاه ابن أبي حاتم (١٤٤٤/٥) إلى مجاهد والنخعي والحكم وأبي صالح.

(١) أخرجه الطبري (١٣٦/٨) وابن أبي حاتم (١٤٤٤/٥).

(٢) في النسختين: [آخرهم]، وعند ابن أبي حاتم كالأصل.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٤٤/٥)، واختاره مقاتل كما في تفسيره (٣٨٥/١).

(٤) في (ع) زيادة: [لا]، وهي خطأ، لأنها بزيادة (لا) تفسير لقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ كما سيأتي.

(٥) تفسير مجاهد (٢٣٢/١) وأخرجه الطبري (١٣٧/٨)، وابن أبي حاتم (١٤٤٤/٥).

(٦) أخرجه الطبري (١٣٦/٨)، وهي من رواية علي بن طلحة عن ابن عباس، وأخرجها ابن أبي حاتم (١٤٤٤/٥) من نفس الطريق لكنه قال: "فأرغبهم عن دينهم".

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٤٤/٥) بلفظ: "من قبل دنياهم يزينها لهم يهيئها إليهم"، واختاره مقاتل كما في تفسيره (٣٨٥/١).

(٨) أخرجه الطبري (١٣٦/٨)، وهي رواية أخرى من طريق علي بن طلحة أيضا، وكذا من رواية عطية العوفي عن ابن عباس قال: "فأمر آخرهم" وأخرجها ابن أبي حاتم (١٤٤٤/٥) من طريق عطية بلفظ: "من الآخرة"، وممن فسر ما خلفهم بالآخرة إبراهيم النخعي كما أخرج الثوري (١١١) والطبري (١٣٦/٨)، وقال به الحكم والسدي وابن جريج كما أخرج الطبري (١٣٦/٨-١٣٧)، والكلبي كما أخرج السمعاني (٢٢٥/٢)، وعزاه ابن أبي حاتم (١٤٤٥/٥) إلى النخعي ومجاهد والحكم والسدي.

(٩) باذام -ويقال: باذان- أبو صالح الكوفي، مولى أم هانئ بنت أبي طالب، ثقة من كبار التابعين روى عن ابن عباس، وروى عنه سماك بن حرب والكلبي [انظر: الطبقات الكبرى (٢٩٦/٦)، والتاريخ الكبير (١٤٤/٢)، ومعرفة الثقات (٢٤٢/١) للعجلي].

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٤٥/٥).

يبصرون"(١).

﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ قال ابن عباس: "أشبه عليهم أمر دينهم"(٢)، وقال أبو صالح: "الحق أشككهم فيه"(٣)، وعن ابن عباس أيضا: "من قبل حسناتهم"(٤)، قال الحسن: "من قبل الحسنات أثبطهم عنها"(٥).

وقال أبو صالح أيضا: "﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ الباطلَ أنفقه عليهم وأرغبهم فيه"(٦).

وقال الحسن: "﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ السيئات يأمرهم بها، ويحثهم عليها، ويزينها في أعينهم"(٧).

---

(١) تفسير مجاهد (٢٣٢/١) وأخرجه ابن أبي حاتم (١٤٤٥/٥)، وأخرجه الطبري (١٣٧/٨) لكنه قال: "ومن خلفهم وعن شمائلهم: من حيث لا يبصرون".

(٢) أخرجه الطبري (١٣٦/٨) وابن أبي حاتم (١٤٤٥/٥) وهي من رواية علي بن طلحة عن ابن عباس، واختاره مقاتل في تفسيره (٣٨٥/١) فقال: "يعني من قبل دينهم، فإن كانوا على هدى شبهته عليهم حتى يشكوا فيها، وإن كانوا على ضلالة زينتها لهم".

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٤٥/٥) بلفظ: "الوحي أشككهم فيه"، وهذا هو اختيار السدي كما أخرج الطبري (١٣٧/٨).

(٤) أخرجه الطبري (١٣٦/٨)، وهي رواية أخرى من طريق علي بن طلحة أيضا، وكذا من رواية عطية العوفي عن ابن عباس قال:"فمن قبل حسانتهم" وأخرجها ابن أبي حاتم (١٤٤٥/٥)، واختاره النخعي كما أخرج الثوري (١١١)، واختاره الكلبي كما أخرج السمعاني (٢٢٥/٢)، والحكم كما أخرج الطبري (١٣٦/٨)، وابن جريج عند الطبري (١٣٧/٨)، وعزاه ابن أبي حاتم (١٤٤٥/٥) إلى مجاهد والنخعي والحكم.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٤٥/٥) بلفظ:"من قبل الحسنات يبطئهم عنها"، وأخرج عن مجاهد قال: "﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من حيث يبصرون".

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٤٦/٥) بلفظ: "الباطل أخفيه عليهم وأرغبهم فيه".

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٤٦/٥) بلفظ: "من قبل السيئات يأمرهم..."، وهو قول ابن عباس من رواية علي بن طلحة وعطية عنه كما أخرجها الطبري (١٣٦/٨) وابن أبي حاتم (١٤٤٥/٥) قال: "من قبل سيئاتهم"، وفي راوية أخرى عن ابن عباس من رواية علي بن طلحة عنه قال: "أُشهي لهم المعاصي"، واختاره النخعي كما أخرج الثوري (١١١) بسنده عنه قال:"من قبل سيئاتهم"، ومقاتل في تفسيره (٣٨٥/١) فقال: "يعني من قبل الشهوات واللذات من المعاصي وأشهيها إليهم"، وأخرج السمعاني (٢٢٥/٢) عن الكلبي قال: "من قبل

وصحّ عن ابن عباس أنه قال: "ولم يقل من فوقهم؛ لأنه علم أن الله من فوقهم"(١)، وقال الشعبي: "(٢) الله عز وجل أنزل الرحمة عليهم(٣) من فوقهم"(٤)، وقال قتادة: "أتاك الشيطان يا ابن آدم من كل وجه؛ غير أنه لم يأتك من فوقك؛ لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله"(٥).

قال الواحدي(٦): "وقول(٧) من قال: الأيمان كناية/(٨) عن الحسنات، والشمائل كناية عن السيئات حسنٌ، لأن العرب تقول: اجعلني في يمينك، ولا تجعلني في شمالك، [تريد](٩): اجعلني من المقدمين(١٠) عندك، ولا تجعلني من المؤخرين(١١)، وأنشد(١٢) لابن الدمينة(١):

---

شهواتهم"، وأخرج الطبري (١٣٦/٨) عن الحكم قال: "من قبل سيئاتهم"، وفي رواية: "من قبل الباطل يرغبهم فيه"، وأخرج الطبري (١٣٧/٨) عن السدي قال: "الباطل أخففه عليهم وأرغبهم فيه"، وأخرج الطبري (١٣٧/٨) عن ابن جريج قال: "مساوئ أعمالهم أحسنها إليهم"، وأخرج ابن أبي حاتم (١٤٤٦/٥) عن مجاهد قال: " وعن شمائلهم: من حيث لا يبصرون".

(١) أخرجه اللالكائي برقم (٦٦١)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (١٠٦)، وأخرج الطبري (١٣٧/٨) بسنده من رواية عكرمة عن ابن عباس قال: "ولم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل من فوقهم"، وقول ابن القيم: "وصح عن ابن عباس" لأن هذه الرواية من طريق عكرمة مولى ابن عباس.

(٢) في (ش) زيادة: [فإن]، وفي (ع) زيادة: [قال].

(٣) في (ع): [عليهم الرحمة] بالتقديم والتأخير.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٤٦/٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٣٦/٨)، وأوله تفسير قتادة للآية قال: "أتاهم ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾؛ فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ من أمر الدنيا؛ فزينها لهم ودعاهم إليها، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ من قبل حسناتهم؛ بطأهم عنها، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها".

(٦) في تفسير البسيط (رسالة دكتوراه غير منشورة بتحقيق: د/محمد الفايز) (٥٩٨/٢-٥٩٩).

(٧) هذا القول نقله الواحدي عن أبي بكر الأنباري كما في البسيط (رسالة دكتوراه غير منشورة بتحقيق: د/محمد الفايز) (٥٩٨/٢)، وهكذا نسبه إلى الأنباري: الرازي في التفسير الكبير (٣٤/١٤)، ولم أقف عليه في كتب الأنباري المطبوعة.

(٨) (٤٩/أ).

(٩) في الأصل: [يريد]، والصواب ما أثبته من النسختين، ليستقيم الكلام الذي يعود على قوله: [تقول العرب].

(١٠) في (ش): [المتقدمين].

(١١) انظر: الصناعتين (٣٥٥)، وسر الفصاحة (٢٣٢)، ودرة الغواص (٥٧)، والدر المصون (٢٧٠/٥).

(١٢) في البسيط: (وأنشدنا أبو العباس)، يعني به ثعلب، وهذا يؤيد أن النقل عن أبي بكر الأنباري لأنه تلميذ ثعلب.

[أَبِيْنِـــي][٢] أفي يمـــنى يـــديك جعلـــتني فـأفرح[٣] أم صـيرتِني في شمالـك

وروى أبو عبيد[٤] عن الأصمعي[٥]: "هو عندنا باليمين: أي بمنزلة حسنة"[٦]، وبضد ذلك: هو عندنا بالشمال[٧]، وأنشد[٨]:

رأيـــت بـــني العـــلات لمـــا يحـــوزون ســـهمي عنـــدهم في الشـــمائل

أي ينزلونني[١٠] بالمنزلة السيئة[١١].

وحكى الأزهري[١٢] عن بعضهم في هذه الآية[١] : "لأغوينهم حتى يكذّبوا بما تقدم

---

(١) عبد الله بن عبيد الله بن أحمد، من بني عامر بن تيم الله بن مبشر بن أكلب الخثعمي، يكنى أبا السري، شاعر أموي نُسب لأمه الدمينة بنت حذيفة السلولية، امتاز شعره بالرقة والعذوبة، وأكثر من الغزل، قتل سنة (١٣٠)هـ [انظر: المعارف (٥٨٩) لابن قتيبة، والعقد الفريد (٨٨/٦)، والأغاني (٩٨/١٧)]، والبيت من الطويل لابن الدمينة كما في ديوانه (١٦).

(٢) في الأصل و(ش): [أنبني]، في (ع): [أبني]، والصواب ما أثبته من ديوان الشاعر ومن البسيط، قال أبو هلال العسكري في الصناعتين (٣٥٥): "أي أبيني منزلتي عندك؟ أوضيعة هي أم رفيعة؟ فَذَكَر اليمين وجعلها بدلاً من الرفعة، والشمال وجعلها عوضاً من الضعة".

(٣) في (ش): [لأفرح] والذي في الديوان والبسيط كالأصل.

(٤) في النسختين: [عبيدة]، والصواب ما في الأصل.

(٥) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، روى عن ابن عون وشعبة، وروى عنه الإمام مالك ونصر بن علي، توفي سنة (٢١٦)هـ [انظر: تاريخ خليفة بن خياط (٤٧٥)، والتاريخ الكبير (٤٢٨/٥)، والجرح والتعديل (٣٦٣/٥)].

(٦) لم أقف عليه في كتب أبي عبيد المطبوعة، ونسبه الجوهري في الصحاح (٢٢٢٠/٦)، وابن منظور في اللسان (٤٦٢/١٣) للأصمعي، ونسبه ابن سيدة في المخصص (٣٩٧/٣) لأبي عبيد، ونسبه الرازيُ في التفسير الكبير (٣٤/١٤) لأبي عبيدٍ عن الأصمعي.

(٧) في (ش): [بالشمائل]، في (ع): [بمنزلة الشمال].

(٨) البيت من الطويل لأبي خراش الهذلي الشاعر المخضرم، وفيه (دونهم) بدل (عندهم)، وهو ضمن قصيدة يرثي فيها أخاه كما في ديوان الهذليين (١٢٥/٢)، وشرح أشعار الهذليين (١١٩٧/٣) للسكري، والأغاني (٢٢٦/١٠)، وبنو العلات هم الإخوة للأب الواحد وأمهاتهم شتى [انظر: العين (٨٨/١)، وتهذيب اللغة (٧٨/١)، والمحيط في اللغة (٩٥/١)].

(٩) جاء في النسخ الثلاث والبسيط: [تظافروا]، والصواب ما أثبته من مصادر البيت.

(١٠) في (ع): [ينزلوني].

(١١) في البسيط: (الخسيسة).

(١٢) محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر الهروي، أبو منصور الأزهري، نسبة إلى جده الأزهر، ولد بهراة

من أمور الأمم السالفة(٢)، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾(٣) بأمر البعث، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أي لأضلنهم فيما يعملون لأن(٤) الكسب(٥) يقال فيه: ذلك بما كسبت يداك وإن كانت [اليدان](٦) لم [تجنيا](٧) شيئاً؛ لأنهما(٨) الأصل في التصرف فجعلتا(٩) مثلاً لجميع ما يعمل(١٠) بغيرهما"(١١).

وقال آخرون: -منهم أبو إسحاق(١٢) والزمخشري(١٣)، واللفظ لأبي إسحاق- ذِكرُ هذه الوجوه للمبالغة في التوكيد، أي: لآتينهم من جميع الجهات، "والحقيقة -والله أعلم- أتصرف(١٤) لهم في الإضلال من جميع جهاتهم"(١٥).

---

سنة (٢٨٢)هـ، إمام اللغة والأدب، أخذ عن نفطويه وابن السراج، له (تهذيب اللغة)، توفي بهراة سنة (٣٧٠)هـ [انظر: طبقات الفقهاء (٢١١)، ومعجم الأدباء (١١٢/٥)، واللباب في تهذيب الأنساب (٤٨/١)].

(١) في البسيط: (في هذه الآية عن بعضهم ﴿مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أي:).

(٢) في تهذيب اللغة: (السابقة).

(٣) في تهذيب اللغة زيادة: (حتى يكذبوا).

(٤) في تهذيب اللغة: (لأمر).

(٥) في تهذيب اللغة زيادة: (حتى).

(٦) في الأصل: [اليدين]، والصواب ما أثبته من النسختين ومن تهذيب اللغة ومن البسيط للواحدي، ولأنه اسم (كان) فيرفع بالألف لأنه مثنى.

(٧) في الأصل: [يجتنبا]، والصواب ما أثبته من النسختين ومن تهذيب اللغة ومن البسيط للواحدي، وليستقيم المعنى.

(٨) في تهذيب اللغة والبسيط: (لأن اليدين هما).

(٩) سقط قوله: (فجعلتا) من تهذيب اللغة، وفي البسيط: (فجعلت).

(١٠) في تهذيب اللغة والبسيط: (عُمِل).

(١١) تهذيب اللغة (٣٧٦/١٥)، وإلى هنا ينتهي النقل بالنص من كتاب البسيط للواحدي (رسالة دكتوراه غير منشورة بتحقيق: د/محمد الفايز) (٥٩٨/٢-٥٩٩)، وأما كلام الزجاج فقد نقله ابن القيم بتصرف وزيادات.

(١٢) يريد الزجاج، في معاني القرآن وإعرابه.

(١٣) جار الله محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، أبو القاسم الزمخشري، نسبة إلى زمخشر من قرى خوارزم، ولد سنة بزمخشر سنة (٤٦٧)هـ، له (الكشاف) و(المفصل)، من أعيان المعتزلة، توفي بخوارزم سنة (٥٣٨)هـ [انظر: الأنساب (١٦٣/٣)، والمنتظم (٣٧/١٨)، ومعجم الأدباء (٤٨٩/٥)].

(١٤) في معاني القرآن وإعرابه: (أَنْصَرف)

(١٥) معاني القرآن وإعرابه (٣٢٤/٢).

وقال الزمخشري: "ثم لآتينهم من الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الغالب، وهذا مثل لوسوسته إليهم وتسويله ما[١] أمكنه وقدر عليه، كقوله: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [سورة الإسراء:٦٤]"[٢]

وهذا يوافق ما[٣] حكيناه عن قتادة: "أتاك من كل وجه، غير أنه لم يأتك من فوقك"، وهذا القول أعم فائدة، ولا يناقض ما قاله السلف، فإن ذلك على جهة التمثيل لا التعيين[٤].

قال شقيق[٥]: "ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد: من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، [أما من بين يدي][٦] فيقول: لا تخف فإن الله غفور رحيم، فأقرأ ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [سورة طه:٨٢]، وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على من أخلفه، فاقرأ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [سورة هود:٦]، ومن قِبَلِ يميني يأتيني من قِبَلِ الثناء، فاقرأ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الأعراف:١٢٨]، ومن قِبَلِ شمالي فيأتيني من قِبَلِ الشهوات، فاقرأ: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سورة سبأ:٥٤]"[٧].

**قلت**: السبل التي يسلكها الإنسان أربعة لا غير، فإنه تارة/[٨] يأخذ على جهة يمينه،

---

(١) في (ش): [موافق لما].

(٢) الكشاف (٨٩/٢).

(٣) في (ش): [لما].

(٤) وهذا اختيار الطبري (١٣٧/٨)، وابن عطية (٣٨١/٢)، وابن قدامة في ذم الموسوسين (٨).

(٥) شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي، أبو علي البلخي، الإمام الزاهد، روى عن إبراهيم بن أدهم، وروى عنه حاتم الأصم وعبد الصمد بن زيد [انظر: الجرح والتعديل (٣٧٣/٤)، وطبقات الصوفية (٦٣)، وحلية الأولياء (٥٨/٨)]، وممن صرّح باسمه ونسب له هذا القول: الثعلبي في تفسيره (٢٢٢/٤)، والخازن (٢١٥/٢).

(٦) زيادة من (ع)، وليست في الأصل و(ش)، وأثبتها ليستقيم الكلام.

(٧) انظر: تفسير الثعلبي (٢٢٢/٤)، والكشاف (٨٩/٢)، وتفسير الرازي (٣٥/١٤)، والخازن (٢١٥/٢).

(٨) (٤٩/ب).

وتارة على شماله، وتارة أمامه، وتارة يرجع خلفه، فأي سبيل سلكها[١] من هذه وجد الشيطان عليها رصداً له[٢]، فإن سلكها في طاعة؛ وجده عليها يُثبطه عنها ويقطعه، أو يُعوِّقه ويُبطِّئه، وإن سلكها لمعصية؛ وجده عليها حاملاً له، وخادماً، ومعيناً[٣]، وممنياً[٤]، ولو اتفق له الهبوط إلى أسفل لأتاه من هناك.

ومما يشهد لصحة أقوال[٥] السلف قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [سورة فصلت:٢٥]، قال الكلبي: "ألزمناهم قرناء من الشياطين"، وقال مقاتل: "هيأنا لهم قرناء من الشياطين"[٦].

وقال ابن عباس: "﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة"[٧]، والمعنى: زينوا لهم الدنيا حتى آثروها، ودعوهم إلى التكذيب بالآخرة والإعراض عنها[٨].

وقال الكلبي: "زينوا لهم ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الآخرة، أنه لا جنة[٩]، ولا نار، ولا

---

(١) في (ع): [يسلكها].

(٢) في (ع): [رصداً له عليها] بالتقديم والتأخير.

(٣) في (ع): [وحادياً ومحثاً].

(٤) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [معيناً].

(٥) في (ع): [قول].

(٦) انظر: تفسير مقاتل (١٦٥/٣) وزاد: في الدنيا، ونسبه الماوردي في النكت والعيون (١٧٧/٥)، والقرطبي في تفسيره (٣٥٤/١٥) للنقاش، وقال الزجاج في معاني القرآن (٣٨٤/٤): "وسببنا من حيث لا يحتسبون"، وقال به النحاس في معاني القرآن (٢٦١/٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٥٢/٧)، وهذا هو معنى قيّض في اللغة: أي هيأ وسبب كما في المحكم (٤٨٤/٦) لابن سيدة.

(٧) لم أقف عليه مسندا عن ابن عباس، ونسبه له الألوسي في روح المعاني (١١٨/٢٤)، وقد أخرجه الطبري (١١١/٢٤) عن السدي، ونسبه الماوردي في النكت والعيون (١٧٨/٥) لمجاهد والسدي، ونسبه أبو حيان في البحر المحيط (٤٧٣/٧) للحسن، واختاره الثعلبي (٢٩٢/٨)، والبغوي (١٧١/٧)، والخازن (١١٠/٦).

(٨) قال ابن القيم في طريق الهجرتين (٦٢٠): "ومن جعل ما خلفهم هو الآخرة؛ لم يستقم قوله إلا بإضمار، أي: زينوا لهم التكذيب بالآخرة، ومع هذا فهو قول مستقيم ظاهر، فإنهم زينوا لهم ترك العمل لها، والاستعداد للقائها، ولهذا كان عليه جمهور أهل التفسير، حتى لم يذكر البغوي غيره، وحكاه عن الزجاج".

(٩) في (ش) زيادة: [لهم].

بعث[١]، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا، ما هم عليه من الضلالة"[٢]، وهذا اختيار الفراء[٣].

وقال ابن زيد: "زينوا لهم ما مضى من خبيث أعمالهم، وما يستقبلون منها"[٤]، والمعنى على هذا: زينوا لهم ما عملوه فلم يتوبوا منه، وما يعزمون عليه فلا ينوون تركه[٥]، فقول عدو الله: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [سورة الأعراف:١٧] يتناول الدنيا والآخرة، وقوله: ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [سورة الأعراف:١٧] فإن كاتب[٦] الحسنات عن اليمين يستحث[٧] صاحبه على فعل الخير، فيأتيه الشيطان من هذه الجهة يثبطه عنه[٨]، وكاتب[٩] السيئات عن[١] الشمال ينهاه عنها، فيأتيه الشيطان من تلك الجهة يحرضه

---

(١) في (ش): [تعب] وهو تصحيف.

(٢) سقط قول الكلبي كاملاً من (ع)، وقد نسبه للكلبي الماوردي في النكت والعيون (١٧٨/٥)، ونسبه النحاس في إعراب القرآن (٥٨/٤) وأبو حيان في البحر المحيط (٤٧٣/٧) لابن عباس رضي الله عنه، ونسبه السمرقندي (٢١٤/٣) للضحاك.

(٣) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الأسدي بالولاء، النحوي الفراء، أبو زكريا الكوفي، نزيل بغداد، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة والأدب، روى عن قيس بن الربيع، ومندل بن علي، والكسائي، وروى عنه سلمه بن عاصم، ومحمد بن الجهم السمري، له (معاني القرآن)، و(المذكر والمؤنث)، توفي في طريق مكة سنة (٢٠٧)هـ [انظر: الثقات (٢٥٦/٩)، وتاريخ بغداد (١٤٩/١٤)، والأنساب (٣٥٢/٤)]، وانظر كلامه في: معاني القرآن (١٧/٣)، وقال:"وبذلك جاء التفسير"، وذكر القول الثاني احتمالاً، واختاره أيضا السمعاني في تفسيره (٤٨/٥).

(٤) انظر: التفسير الكبير (١٠٣/٢٧)، لكنه ذكره بلفظ: "زينوا لهم ما مضى من أعمالهم الخبيثة، وما بقي من أعمالهم الخسيسة"، ونسبه أبو حيان في البحر المحيط (٤٧٣/٧) للكلبي.

(٥) اختاره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣٨٤/٤)، والنحاس في معاني القرآن (٢٦١/٦)، وابن جزي (١٣/٤)، قال ابن القيم في طريق الهجرتين (٦٢٠): "وكأن لفظ التزيين بهذا القول أليق"، وذكر ابن أبي زمنين في تفسيره (١٥١/٤) عن الحسن قال: "ما بين أيديهم، يعني: حب ما كان عليه آباؤهم من الشرك وتكذيبهم الرسل، وما خلفهم : تكذيبهم بالبعث"، واختاره ابن عطية في المحرر (١٢/٥).

(٦) في (ش): [كانت].

(٧) في (ع): [ليستحث].

(٨) في (ع): [عنها].

(٩) في (ش): [وإن كانت]، وفي (ع): [وإن كاتب].

عليها[٢]، وهذا تفصيل ما أجمله في قوله: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة ص:٨٢]، وقال تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [سورة النساء:١١٧-١٢٠]، قال الضحاك: "﴿مَّفْرُوضًا﴾ أي: معلوما"[٣]، وقال الزجاج: "أي نصيبا افترضه على نفسي"[٤]، قال الفراء: "يعني ما جعل له عليه السبيل من الناس فهو كالمفروض"[٥]،

---

(١) في (ش): [على].

(٢) ظاهر كلام ابن القيم أن كاتب الحسنات يأمر العبد بالحسنات، وكاتب السيئات ينهاه عن فعل السيئات، وهذا مما لم أقف على دليلٍ أو أثر يشهد له، إلا إن كان أراد به القرين من الملائكة الوارد في الحديث الذي أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا ح(٢٨١٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ما منكم من أحد إلا وقد وُكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة)) وفي رواية عند مسلم ((ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير))، قال ابن الأثير في النهاية (٥٤/٤): "أي مصاحبه من الملائكة والشياطين، وكل إنسان فإن معه قرينا منهما، فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه، وقرينه من الشياطين يأمره بالشر ويحثه عليه"، وهذا القرين واحد من الملائكة وواحد من الجن، وليسا اثنين، ثم إن هذا القرين من الملائكة غير كاتب الحسنات وكاتب السيئات، وقد يُحمل كلام ابن القيم على أن من ثمرة الإيمان بالكاتبين؛ الحرص على فعل الخير، والانتهاء عن فعل الشر، فالملك كاتب الحسنات يستحث العبد بفعله ووظيفته لا بأمره وقوله، وكذا كاتب السيئات ينهاه بفعله ووظيفته لا بنهيه وقوله.

(٣) أخرجه الطبري (٢٨١/٥)، واختاره مقاتل في تفسيره (٢٥٧/١)، والطبري (٢٨١/٥)، والسمرقندي (٣٦٥/١)، والثعلبي (٣٨٨/٣)، والواحدي في الوجيز (٢٩٠/١) وغيرهم.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١٠٩/٢)، واختاره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (١٣٥)، وابن أبي زمنين في تفسيره (٤٠٧/١).

(٥) معاني القرآن (٢٨٩/١).

قلت:/(١) حقيقة الفرض هو: التقدير(٢)، والمعنى: أن من اتبع الشيطان وأطاعه فهو من نصيبه المفروض وحظه المقسوم، فكل من أطاع عدو الله فهو من مفروضه، فالناس قسمان: نصيب الشيطان ومفروضه، وأولياء الله وحزبه وخاصته.

وقوله: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ يعني عن الحق(٣)، ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ قال ابن عباس: "يريد تسويف التوبة وتأخيرها"(٤)، وقال الكلبي: "أمنيهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث"(٥)، وقال الزجاج: "أجمع لهم مع الإضلال أن أُوهمهم أنهم ينالون مع ذلك حظهم من الآخرة"(٦).

وقيل: لأمنينهم ركوب الأهواء الداعية إلى العصيان والبدع(٧)، وقيل: أمنيهم طول البقاء في نعيم الدنيا فأطيل لهم الأمل فيها ليؤثروها على الآخرة(٨).

---

(١) (٥٠/أ).

(٢) انظر: غريب الحديث (٤٦/٢) للخطابي، النهاية في غريب الحديث (٤٣٢/٣)، ولسان العرب (٢٠٣/٧).

(٣) اختاره النحاس في إعراب القرآن (٤٨٩/١)، وقال مقاتل في تفسيره (٢٥٨/١): "عن الهدى"، وانظر: تفسير الطبري (٢٨١/٥)، والسمرقندي (٣٦٥/١)، وابن عطية (١١٤/٢)، وابن الجوزي (٢٠٤/٢)، والقرطبي (٣٩٨/٥).

(٤) لم أقف عليه مسندا، ونسبه لابن عباس الواحدي في الوسيط (١١٨/٢)، وابن الجوزي (٢٠٥/٢)، والخازن (٥٩٩/١).

(٥) لم أقف عليه مسندا، ونسبه للكلبي الواحدي في الوسيط (١١٨/٢)، والخازن (٥٩٩/١)، ونسبه ابن الجوزي (٢٠٤/٢) لابن عباس، وهذا قول مقاتل في تفسيره (٢٥٨/١) والسمرقندي (٣٦٥/١)، وابن أبي زمنين (٤٠٧/١)، والثعلبي (٣٨٨/٣)، والواحدي في الوجيز في أحد قوليه (٢٩٠/١).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١٠٩/٢)، وذكره الواحدي في الوسيط (١١٨/٢)، والبغوي (٢٨٩/٢)، وبنحوه الخازن (٥٩٩/١).

(٧) انظر: الطبري (٢٨١/٥)، وذكره الواحدي في الوجيز (٢٩٠/١)، والسمعاني (٤٨٠/١)، والبغوي (٢٨٩/٢)، والخازن (٥٩٩/١).

(٨) اختاره الجصاص في أحكام القرآن (٢٦٨/٣)، والماوردي في النكت (٥٣٠/١)، وذكره السمعاني (٤٨٠/١)، والبغوي (٢٨٩/٢)، والقرطبي (٣٨٩/٥)، والخازن (٥٩٩/١)، وقال الثعلبي (٣٨٨/٣): "وقال بعضهم: ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أي: ألقي في قلوبهم الهيمنة"، ونقل ابن الجوزي (٢٠٤/٢) عن أبي سليمان الدمشقي قال: إنه تزيين الأماني، واختاره الرازي (٣٩/١١)، وذكره القرطبي (٣٨٩/٥).

وقوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ البتك: القطع[١]، وهو في هذا الموضع: قطع آذان البحيرة[٢] عند جميع المفسرين[٣]، ومن ههنا كره جمهور أهل العلم تثقيب أذني الطفل للحلق[٤]، ورخص بعضهم في ذلك للأنثى دون الذكر لحاجتها إلى الحلية[٥]، واحتجوا بحديث أم زرع وفيه: ((أَنَاسَ[١] من حُليٍّ أُذُنَيَّ))[٢]، وقال النبي ﷺ:

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١٤٠/١) لأبي عبيدة، وجمهرة اللغة (٢٢٥/١)، وتهذيب اللغة (٨٩/١٠)، ومعجم مقاييس اللغة (١٩٥/١)، وقيل هو قطع الشيء من أصله، وإليه ذهب الخليل في العين (٣٤٢/٥)، وانظر: تهذيب اللغة (٨٩/١٠) ومعجم مقاييس اللغة (١٩٥/١)، والمخصص (٢٤/٤).

(٢) اختلف في معنى البحيرة عند أهل الجاهلية، فقال ابن إسحاق: هي بنت السائبة، وكانت السائبة فيهم أن الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس فيهن ذكر سيبت، فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها، ثم خلي سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقَّ، وقال أبو عبيدة: ما إذا انتجت الناقة خمسة بطون، وكان آخرها ذكرا، فيشق مالكها أذنها، ثم يخلي سبيلها فلا تركب ولا ينتفع بها، وقال عكرمة: هي الناقة إذا ولدت خمسة أبطن؛ ينظر في البطن الخامس؛ فإن كان ذكرا ذبحوه فأكلوه، وإن كانت أنثى تكوى أذنها، فلم يشرب لبنها، ولم يفقر ظهرها، قال ابن قتيبة في غريب الحديث (٤٢٥): "هذه ثلاثة أقاويل في البحيرة، وإنما سميت بحيرة لشقهم أذنها، والبحر: الشق، وهي فعيلة بمعنى مفعولة" وانظر: تفسير مقاتل (٣٢٥/١)، والعين (٢٢٠/٣)، ومجاز القرآن (١٧٩/١).

(٣) هكذا قال الواحدي في الوسيط (١١٨/٢)، ونقله الرازي (٣٩/١١)، وجاء هذا مسندا عن قتادة كما عند الصنعاني (١٧٣/١) والطبري (٢٨١/٥)، وعن السدي كما عند الطبري (٢٨٢/٥) وابن أبي حاتم (١٠٦٩/٤)، وعن عكرمة كما عند الطبري (٢٨٢/٥)، واختاره مقاتل (٢٥٨/١)، والطبري (٢٨١/٥)، والزجاج (١٠٩/٢)، والنحاس في معاني القرآن (١٩٤/٢)، والسمرقندي (٣٦٥/١)، والجصاص (٢٦٨/٣)، وابن أبي زمنين (٤٠٧/١)، والثعلبي (٣٨٨/٣)، والواحدي في الوسيط (١١٨/٢)، والسمعاني (٤٨١/١)، والبغوي (٢٨٩/٢)، والرازي (٣٩/١١)، والقرطبي (٣٨٩/٥)، والخازن (٥٩٩/١)، وابن جزي (١٥٨/١)، وابن كثير (٣٠٧/٣).

(٤) القول بالكراهة قال به من الشافعية الغزاليُ في إحياء علوم الدين (٣٤١/٢)، وعلله بأنه جرح مؤلم، وبأن التزين بالحلق غير مهم، وفي المخانق والأسورة كفاية عنه، وذهب بعض أهل العلم إلى القول بالتحريم، واختاره ابن الجوزي كما نقل ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣٣٨/٣)، كما اختاره الزيادي كما في تحفة الحبيب على شرح الخطيب (٢٦٢/٥)، وقد نقل ابن حجر في فتح الباري (٣٣١/١٠) كلام ابن القيم، ولم يتعقبه، ولم أقف على من نسب القول بالكراهة للجمهور سوى المؤلف رحمه الله.

(٥) وهو قول الجمهور، وانظر: الاختيار لتعليل المختار (١٧٨/٤)، وتبيين الحقائق (٢٢٧/٦) للزيلعي، والفروع (١٠٧/١)، وتحفة المودود بأحكام المولود (٢٠٩)، والآداب الشرعية (٣٣٨/٣)، والبحر الرائق (٥٥٤/٨)

((كنت لك كأبي زرع لأم زرع))[٣]، ونص أحمد على جواز ذلك في حق البنت، وكراهته في حق الصبي[٤].

وقوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: "يريد دين الله"[٥]، وهو قول إبراهيم[٦] ومجاهد[٧] والحسن[٨] والضحاك[٩] وقتادة[١٠] والسدي[١] وسعيد بن

---

لابن نجيم، ومغني المحتاج (٢٩٦/٤)، وشرح مختصر خليل (١٤٨/٤) للخرشي، والموسوعة الفقهية الكويتية (٢٧٢/١١).

(١) قال أبو عبيد في غريب الحديث (٣٠٠/٢): "تريد حلاني قرطة وشنوفاً تنوس بأذني، والنوس: الحركة من كل شيء متدلي"، وانظر: تهذيب اللغة (٦٢/١٣)، وشرح البخاري (٣٠٣/٧) لابن بطال، ولبعض أهل العلم شروح مستقلة لحديث أم زرع كالقاضي عياض له كتاب (بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد)، وللرافعي كتاب (درة الضرع لحديث أم زرع)، وللبعلي اللغوي كتاب (شرح حديث أم زرع)، وغيرها.

(٢) ذكر ابن القيم هذا الاستدلال في تحفة المودود (٢٠٩)، ثم قال: "وفي الصحيحين لما حرض النبيﷺ النساء على الصدقة جعلت المرأة تلقي خرصها الحديث، والخُرص هو: الحلقة الموضوعة في الأذن، ويكفي في جوازه عِلمُ الله ورسوله بفعل الناس له، وإقرارهم على ذلك، فلو كان مما يُنهى عنه لنهى القرآن أو السنة"، وتعقب ابن حجر في فتح الباري (٣٣١/١٠) الاستدلال بهذا على الجواز فقال: "وفيه نظر، لأنه لم يتعين وضع القرط في ثقبة الأذن، بل يجوز أن يشبك في الرأس بسلسلة لطيفة حتى تحاذى الأذن وتنزل عنها، سلمنا لكن إنما يؤخذ من ترك إنكاره عليهن، ويجوز أن تكون آذانهن ثقبت قبل مجيء الشرع؛ فيغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء، ونحوه قول أم زرع: ((أناس من حلي أذني)) ولا حجة فيه لما ذكرنا".

(٣) أخرجه من حديث عائشة رضي الله عنها البخاري في كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل ح(٤٨٩٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم باب ذكر حديث أم زرع ح(٢٤٤٨).

(٤) قال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣٣٨/٣): "ويجوز ثقب أذن البنت للزينة، ويكره ثقب أذن الصبي نص عليهما، قال في رواية مهنا: أكره ذلك للغلام، إنما هو للبنات، قال مهنا: قلت: من كرهه؟ قال: حريز بن عثمان"، وانظر: الإنصاف (١٢٥/١) للمرداوي.

(٥) أخرجه الطبري (٢٨٣/٥)، وابن أبي حاتم (١٠٦٩/٤).

(٦) يريد النخعي، وقد أخرج قوله مجاهد (١٧٤/١)، والثوري (٩٧)، والصنعاني (١٧٣/١)، وسعيد بن منصور (بتحقيق: د/الحميد) برقم (٦٨٩)، وابن الجعد في مسنده برقم (٢٥٠٥)، والطبري (٢٨٣/٥، ٢٨٤)

(٧) تفسير مجاهد (١٧٥/١)، وأخرجه الصنعاني في تفسيره (١٧٣/١)، وفي المصنف برقم (٨٤٤٥)، وأخرجه الطبري (٢٨٤/٥).

(٨) نسبه له: الطبري (٢٨٤/٥)، وابن أبي حاتم (١٠٦٩/٤).

(٩) أخرجه الطبري (٢٨٤/٥)، وقال ابن أبي حاتم (١٠٦٩/٤): "في الرواية الثانية".

(١٠) أخرجه الصنعاني (١٧٣/١)، والطبري (٢٨٤/٥).

المسيب(٢) وسعيد بن جبير(٣).

ومعنى ذلك: هو أن الله تعالى فطر عباده على الفطرة المستقيمة، وهي ملة الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ ﴾(٤) [سورة الروم: ٣٠-٣١](٥)، ولهذا قال ﷺ: ((ما من مولود إلا يولد على

---

(١) أخرجه الطبري (٥/٢٨٤).

(٢) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، أبو محمد القرشي، ولد سنة (١٣)هـ، ثقة من كبار التابعين، روى عن أبي هريرة وأبي سعيد، وروى عنه الزهري ويحيى بن سعيد، أحد فقهاء المدينة السبعة، توفي سنة (٩٣)هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٥/١١٩)، والطبقات (٢٤٤) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٣/٥١٠)].

(٣) أخرجه سعيد بن منصور (بتحقيق: د/الحميد) برقم (٦٩١)، وقال به عكرمة في أحد قوليه كما أخرج الطبري (٥/٢٨٣-٢٨٤)، والقاسم بن أبي بزة كما أخرج الطبري (٥/٢٨٤)، وابن زيد كما أخرج الطبري (٥/٢٨٤)، قال ابن أبي حاتم (٤/١٠٦٩): "وروى عن مجاهد، وعكرمة في أحد قوليه، وإبراهيم النخعي، والحكم، والحسن، والسدي، وقتادة، والضحاك في الرواية الثانية، وعطاء الخرساني نحو ذلك"، وفي معنى الآية قولين آخرين، **الأول**: أن المراد بتغيير خلق الله هو إخصاء البهائم، وقد أخرجه الطبري (٥/٢٨٢-٢٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنه في أحد قوليه، وأنس بن مالك رضي الله عنه، والربيع بن أنس، وشهر بن حوشب، وأبي صالح، وعكرمة في أحد قوليه، قال ابن أبي حاتم (٤/١٠٦٩): "وروى عن ابن عباس، وأنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وعكرمة في أحد قوليه، وأبي عياض، وأبي صالح في احدى الروايات، والثوري نحو ذلك"، **والقول الثاني**: أن المراد بتغيير خلق الله هو الوشم، وقد أخرجه الطبري (٥/٢٨٥) وابن أبي حاتم (٤/١٠٧٠) عن الحسن في أحد قوليه، ورجح الطبري (٥/٢٨٥) القول بأن المراد بالآية تغيير دين الله، واستدل بآية سورة الروم، وبيّن أن هذا القول يتضمن القولين الآخرين فقال: "وإذا كان ذلك معناه؛ دخل في ذلك فعل كل ما نهى الله عنه، من خصاء ما لا يجوز خصاؤه، ووشم ما نهى عن وشمه ووشره، وغير ذلك من المعاصي، ودخل فيه ترك كل ما أمر الله به، لأن الشيطان لا شك أنه يدعو إلى جميع معاصي الله، وينهى عن جميع طاعته، فذلك معنى أمره نصيبه المفروض من عباد الله بتغيير ما خلق الله من دينه".

(٤) الآية في (ع) إلى قوله سبحانه: [﴿الْقَيِّمُ﴾].

(٥) هكذا فسر عكرمة آية سورة النساء بآية سورة الروم، كما أخرج الطبري (٥/٢٨٢)، والضحاك كما أخرج الطبري (٥/٢٨٤)، والطبري (٥/٢٨٥).

الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه[١] ويمجسانه[٢]، كما تُنْتَج البهيمةُ بهيمةً جَمْعَاء[٣]، هل تحسون[٤] فيها من جدعاء[٥]! حتى تكونوا أنتم تجدعونها)) ثم قرأ أبو هريرة رضي الله عنه ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الآية [الروم: ٣٠] متفق عليه[٦].

فجمع النبيﷺ بين الأمرين: [تغيير][٧] الفطرة بالتهويد والتنصير، وتغيير الخِلْقَة بالجدع/[٨]، وهما الأمران اللذان أخبر إبليس أنه لابد أن يغيرهما، فغيَّر فطرة الله بالكفر، وهو تغيير الخِلْقَة التي خلقوا عليها، وغير الصورة بالجدع والبتك، فغير الفطرة إلى الشرك، والخِلْقَة إلى البتك والقطع، فهذا تغيير خِلْقَة الروح، وهذا تغيير خِلْقَة الصورة[٩].

ثم قال: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ فوعده: "ما يصل إلى قلب الإنسان، نحو: سيطول

---

(١) في (ع): [أو ينصرانه]، واللفظان في البخاري.

(٢) في (ع): [أو يمجسانه]، واللفظان في البخاري.

(٣) هي: السليمة، سُميت بذلك لاجتماع السلامة لها في أعضائها [انظر: غريب الحديث (٣٥٠/١) لابن قتيبة، وغريب الحديث (١٧١/١) لابن الجوزي، والنهاية في غريب الحديث (٢٩٦/١)].

(٤) في (ش): [يحسون]، وفي حاشية (ش) كنسخة أخرى: [تجدون]، وهو أحد الألفاظ في الصحيحين.

(٥) هي التي قطعت أذنها [انظر: غريب الحديث (١٠١/١) لأبي عبيد، المحكم (٣٠٦/١)، والنهاية في غريب الحديث (٢٤٧/١)].

(٦) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البخاري في كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام ح(١٢٩٢)، ومسلم في كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ح(٢٦٥٨).

(٧) في الأصل [معتبر]، والصواب ما أثبته من النسختين، لدلالة السياق.

(٨) (٥٠/ب).

(٩) وهذا التغيير في خِلْقَة الروح وخِلْقَة الصورة لا يعارض قوله تعالى ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١٠٤٢/٢): "المراد ما خلقهم عليه من الفطرة لا تبديل له، فلا يخلقون على غير الفطرة، لا يقع هذا قط، والمعنى أن الخلق لا يتبدل فيخلقوا على غير الفطرة، و لم يُرد بذلك أن الفطرة لا تتغير بعد الخلق...كما قال ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ و لم يقل لا تغيير، فإن تبديل الشيء يكون بذهابه وحصول بدله، فلا يكون خلق بدل هذا الخلق، ولكن إذا غُيّر بعد وجوده لم يكن الخلق الموجود عند الولادة قد حصل بدله"، وانظر: شفاء العليل (٢٩٥).

عمرك، وتنال من الدنيا لذتك[١]، وستعلو على أقرانك، وتظفر بأعدائك"[٢]، والدُّنيا دُوَلٌ سيكون[٣] لك كما كانت لغيرك، ويُطَوِّلُ أمله ويعده بالحسنى[٤] على شركه ومعاصيه، ويمنيه الأماني الكاذبة على اختلاف وجوهها[٥].

والفرق بين وعده و[تمنيته][٦]: أن الوعد في الخير، والتمنية في الطلب والإرادة، فيعده الباطل الذي لا حقيقة له، وهو الغرور، ويمنيه المحال الذي لا حاصل له[٧]، ومن تأمل أحوال أكثر[٨] الناس وجدهم متعلقين بوعده وتمنيته وهم لا يشعرون، يعد الباطل ويمنى[٩] المحال، والنفس المهينة التي لا قدر لها تتغذى بوعده وتمنيته، كما قال القائل[١٠]:

---

(١) في النسختين: [إربك].

(٢) الوسيط (١١٨/٢) للواحدي بنحوه، وانظر: تفسير السمعاني (٤٨١/١)، والبغوي (٢٨٩/٢)، والرازي (٤٠/١١)، والخازن (٦٠٠/١).

(٣) في (ع): [فستكون].

(٤) في (ش): [الحسنى].

(٥) اختلف أهل التفسير في المراد بوعد الشيطان هنا، فقيل: يعدهم ألا بعث ولا حساب وبه مقاتل (٢٥٨/١) وابن عطية (١١٥/٢)، وقيل يعدهم النصرة ونسبه ابن الجوزي في تفسيره (٢٠٧/٢) إلى أبي سليمان الدمشقي، وفي المراد بالتمنية أقوال، فقيل: أمنيهم طول العمر في النعيم ليؤثروا الدنيا على الآخرة واختاره السمعاني (٤٨١/١)، وقيل: أمنيهم ألا بعث ولا جنة ولا نار واختاره البغوي (٢٨٩/٢)، وقيل: الظفر بأولياء الله تعالى ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٢٠٧/٢).

(٦) في الأصل و(ش): [تمنيه]، والصواب ما أثبته من (ع)، ليستقيم الكلام..

(٧) قال أبو حيان في البحر المحيط (٣٧٠/٣) -عن الوعد والتمنية- : "لفظان متقاربان، والمعنى: أن الذي أقسم عليه من أن يمنيهم وقع بإخبار الله تعالى عنه بذلك، واكتفى من الإخبار عن وقوع تلك الجمل التي أقسم عليها إبليس بوضوحها وظهورها، ولما كان الوعد والتمنية من أمور الباطن؛ أخبر الله عنه بها، والمعنى: أنه يعدهم بالأمور الباطلة والزخارف الكاذبة، وأنه لا ثواب ولا عقاب"، وكذا لم يفرق بين اللفظتين ابن عطية في المحرر (١١٥/٢)، والقرطبي (٣٩٥/٥).

(٨) في (ع): [كثير].

(٩) في (ش): [وتمني].

(١٠) البيت من الطويل لرجل من بني الحارث كما في الأمالي (١٠٣/٣) للقالي، وشرح ديوان الحماسة (١٤١٣/٢)، ومحاضرات الأدباء (٥٣٣/١) للأصفهاني، ونسبه الأصفهاني في موضع آخر من محاضرات الأدباء (١٣٦/٢) لابن المعتز، ونسبه البصري في الحماسة البصرية (٢٠٩/٢) للرماح بن ميادة، ونسبه العباسي في معاهد التنصيص (١٤٢/٢) إلى ابن سارة.

منى إن [تكن][(١)] حقا تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

فالنفس المبطلة الخسيسة تلتذ بالأماني الباطلة والوعود الكاذبة، و[تفرح][(٢)] بها، كما يفرح[(٣)] بها النساء والصبيان ويتحركون لها، فالأقوال الباطلة مصدرها وعد الشيطان وتمنيته، فإنها تمني[(٤)] أصحابها الظفر بالحق وإدراكه، وتعدهم[(٥)] الوصول إليه من غير طريقه، فكل مبطل فله نصيب من قوله: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [سورة البقرة:٢٦٨] قيل: يعدكم[(٦)] الفقر ويخوفكم[(٧)] به، يقول: إن أنفقتم أموالكم افتقرتم.

﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ قالوا: هي البخل في هذا الموضع خاصة[(٨)]، ويُذكر عن

---

(١) في الأصل: [يكن]، والصواب ما أثبته من النسختين، ومن مصادره، ولرجوع الكلام على المنى وهي مؤنث.

(٢) في الأصل: [يفرح]، والصواب ما أثبته من النسختين، ولرجوع الكلام على النفس وهي مؤنث.

(٣) في (ش): [تفرح].

(٤) في النسختين: [فإنه يمني].

(٥) في (ع): [ويعدهم].

(٦) في (ع): [يعدهم].

(٧) في (ع): [يخوفهم].

(٨) سواء بمنع الصدقة أو الزكاة، واختاره مقاتل في تفسيره (١/١٤٥)، والزجاج (١/٣٥١)، والنحاس في معاني القرآن (١/٢٩٧)، والجصاص (٢/١٧٧) وقال: "والعرب تسمي البخيل فاحشا، والبخل فحشا"، كما اختاره الثعلبي (١/٢٧٠) (١٠/٧٢)، والواحدي في الوسيط (١/٣٨٣)، والسمعاني (١/٢٧٣)، والبغوي (١/٣٣٣)، والزمخشري (١/٣٤٣)، والرازي (٧/٥٧)، والخازن (١/٢٩٠) **والقول الثاني**: أن المراد بالفحشاء هنا: الزنا، وقد أخرجه ابن أبي حاتم (٢/٥٣٠) عن ابن عباس ﷺ من طريق علي بن أبي طلحة، وقال ابن أبي حاتم: "وروي عن الحسن وعكرمة والسدي مثل ذلك"، **والقول الثالث**: أن المراد بها المعاصي عموماً، فيكون المراد بها كل ما فحش، وفحش ذكره سواء كانت من المعاصي أو من ترك الطاعات، وقد أخرجه ابن أبي حاتم (٢/٥٣٠) من طريق عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: "بالسوء"، وقد نسبه ابن أبي حاتم (٢/٥٣٠) إلى سعيد بن جبير وابن المبارك، وقد اختار هذا الطبري (٣/٨٧)، وابن عطية في المحرر (١/٣٦٤).

مقاتل[١] والكلبي[٢] : "كل فحشاء في القرآن فهي الزنى إلا في هذا الموضع فإنها البخل".

**والصـــواب**: أن الفحشاء على بابها، و[هي][٣] كل فاحشة، فهي صفة لموصوف محذوف/[٤]، فَحَذْفُ موصوفها إرادةً للعموم[٥]، أي: بالفِعْلة الفحشاء، والخُلّة[٦] الفحشاء، ومن جملتها: البخل.

فَذَكر سبحانه وعد الشيطان و[أمره][٧]: يأمر بالشر، ويخوف[٨] من فعل الخير، وهذان الأمران هما جماع ما يطلبه الشيطان من الإنسان، فإنه إذا خوفه من فعل الخير تركه، وإذا أمره بالفحشاء وزينها له ارتكبها، وسمّى سبحانه تخويفه وعداً لانتظار الذي خوّفَهُ إياه، كما ينتظر الموعود ما وُعِدَ به، ثم ذكر سبحانه وعده على طاعته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وهي المغفرة والفضل، فالمغفرة: وقاية الشر، والفضل: إعطاء الخير، وفي الحديث المشهور: ((إن للملك بقلب ابن آدم لمة[٩]، وللشيطان لمة، فلمة الملك: إيعاد بالخير، وتصديق بالوعد، ولمة الشيطان: إيعاد[١٠] بالشر، وتكذيب بالوعد[١١])) ثم قرأ:

---

(١) نسب القول بهذه الكُلِّية لمقاتل الثعلبي في تفسيره (٣٩/٢، ٢٧٠)، وصدرها بقوله: "وزعم مقاتل"، كما نسبها له القرطبي (٢١٠/٢).

(٢) نسب السمرقندي (٢٠٣/١) للكلبي تفسيره لهذا الموضع بمنع الزكاة، ونسب له القول بهذه الكُلِّية البغوي (٣٣٣/١)، والخازن (٢٩٠/١).

(٣) زيادة من النسختين، وليست في الأصل، وأثبتها ليستقيم الكلام.

(٤) (٥١/أ).

(٥) في (ش): [العموم].

(٦) في (ع): [أو الخلة].

(٧) في الأصل و(ش): [وأخّره]، والصواب ما أثبته من (ع)، لدلالة ما بعده، ولأن الكلام عن قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾.

(٨) في (ش): [ويخوفهم].

(٩) اللمة هي: الهمة أو الخطرة التي تقع في القلب، وأراد بإلمام الملك أو الشيطان به: القرب منه، فما كان من خطرات الخير فهو من الملك، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان [انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٣٣٢/٢)، والنهاية في غريب الحديث (٢٧٣/٤)، ولسان العرب (٥٥٢/١٢)].

(١٠) سقط قوله: [إيعاد] من (ش).

(١١) في (ش): [بالوعيد].

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ الآية(١)، فالملك والشيطان يتعاقبان على القلب تعاقب الليل والنهار، فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره، وآخر بضده، ومنهم من يكون زمنه نهاراً كله، وآخر بضده.

**ف**

ومن كيده للإنسان: أنه يورده الموارد التي يُخيّلُ إليه أنَّ فيها منفعته، ثم يُصدِرُه المصادر

---

(١) أخرجه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ومن سورة البقرة ح(٢٩٨٨)، والنسائي في الكبرى ح(١١٠٥١)، والبزار ح(٢٠٢٧)، وأبو يعلى ح(٤٩٩٩)، والطبري في تفسيره (٨٨/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢٩/٢)، وابن حبان ح(٩٩٧)، والبيهقي في الشعب ح(٤٥٠٦)، وفيها كلها بدل لفظ (الوعد) (الحق)، قال البزار: "وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عبد الله عن النبي إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وقد رواه غير أبي الأحوص موقوفًا"، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب، وهو حديث أبي الأحوص، لا نعلمه مرفوعًا إلا من حديث أبي الأحوص"، وقال الترمذي في العلل (٣٥٣): "سألت محمدًا -يريد البخاري- عن هذا الحديث فقال: روى بعضهم هذا الحديث عن عطاء بن السائب وأوقفه، وأرى أنه قد رفعه غير أبي الأحوص عن عطاء بن السائب، وهو حديث أبي الأحوص"، وقد جاء الحديث موقوفًا على ابن مسعود كما أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم (١٤٣٥)، والصنعاني في التفسير (١٠٩/١)، والإمام أحمد في الزهد (١٥٧)، وأبو داود في الزهد برقم (١٧٤)، والطبري في تفسيره (٨٨/٣-٨٩) من عدة طرق، والطبراني في الكبير برقم (٨٥٣٢)، وابن الشجري في الأمالي (٢٧٣/١)، والبيهقي في الشعب ح(٤٥٠٧)، قال ابن أبي حاتم في العلل (٢٤٤/٢): "سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن عبدالله عن النبي: ((إن للملك لمة، وللشيطان لمة)) الحديث، فقال أبو زرعة: الناس يوقفونه عن عبدالله، وهو الصحيح، فقال أبي: رواه حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبدالله موقوفًا، قلت: فأيهما الصحيح؟ قال: هذا من عطاء بن السائب، كان يرفع الحديث مرة، ويوقفه أخرى، والناس يحدثون من وجوه عن عبدالله موقوفًا، ورواه الزهري عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن مسعود موقوفًا، وذكر أشياء من هذا النحو موقوفًا"، قال البيهقي -عند ذكر الرواية الموقوفة-: "ولا تراه يأثره إلا عن رسول الله ﷺ"، يريد أنه ليس من قبيل الرأي أو الاجتهاد بل من باب الوحي، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع ح(١٩٦٣)، وبيّن علة ضعفه في تحقيق المشكاة ح(٧٤) بأن فيه عطاء بن السائب وكان قد اختلط، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٥٧٢/٥): "وكأن الترمذي -وتبعه ابن كثير- يريدان الإشارة إلى تعليل هذا الإسناد المرفوع، برواية الحديث موقوفًا، ولكن هذه علة غير قادحة بعد صحة الإسناد، فإن الرفع زيادة من ثقة، فهي مقبولة، وأيضًا: فإن هذا الحديث مما لا يعلم بالرأي، ولا يدخله القياس، فلا يعلم إلا بالوحي من المعصوم ﷺ، فالروايات الموقوفة لفظًا، هي مرفوعة حكمًا".

التي فيها عطبه، ويتخلى عنه ويسلمه، ويقف يشمت به، ويضحك منه، فيأمره بالسرقة والزنى والقتل، ويَدُلُّ عليه ويفضحه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال:٤٨] فإنه تراءى للمشركين عند خروجهم إلى بدر(١) في صورة سراقة بن مالك(٢)، وقال: أنا جار لكم من بني كنانة؛ أن [يقصدوا](٣) أهلكم وذراريكم بسوء، فلما رأى عدو الله جنود الله من الملائكة نزلت لنصر رسوله؛ فرَّ عنهم وأَسْلَمَهُم(٤)، كما قال حسان(٥):

دلاّهُمُ بغرورٍ ثم أَسْلَمَهُم ... إنّ الخبيثَ لمن والاه غرّارُ

---

(١) موضع به بئر في الجنوب الغربي من المدينة النبوية، يُنسب إلى رجل سكنه اسمه: بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل هو من بني ضمرة، وبها وقعت فيه الغزوة المعروفة بين النبيﷺ وكفار قريش، في السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، وقد نصر الله تعالى نبيه على المشركين، وهي حاليا من محافظات المدينة النبوية، وتبعد عنها قرابة (١٥٠)كم [انظر: معجم البلدان (٣٥٧/١)، ومعجم ما استعجم (٢٣١/١)، وأطلس القرآن (٢٠٤) لشوقي أبو خليل].

(٢) سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، وبعضهم يقول: سراقة بن جعشم، أبو سفيان الكناني، صحابي جليل، روى عنه سعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن مالك، كان يسكن بقديد، توفي سنة (٢٤)هـ [انظر: الطبقات (٣٤) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٢٠٨/٤)، والجرح والتعديل (٣٠٨/٤)].

(٣) في الأصل: [تقصدوا]، والصواب ما أثبته من النسختين، لدلالة السياق، ولأن لفظ الرواية المسندة عند الطبري في تفسيره (١٨/١٠) وغيره: "فقال: أنا جار لكم من بني كنانة أن تأتيكم بشيء تكرهونه"، فكلام الشيطان عن فعل بني كنانة لا عن فعل قريش.

(٤) والقصة أخرجها ابن إسحاق (٢٨٥/٣) في سيرته، والطبري في تاريخه (٢٥/٢)، وتفسيره (١٨/١٠-١٩)، وابن أبي حاتم (١٧١٥/٥)، وغيرهم.

(٥) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي الخزرجي، أبو الوليد الأنصاري، صحابي جليل، كان شاعر النبيﷺ، قال له النبيﷺ ((اهجهم وروح القدس معك))، وهو أحد المخضرمين، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام، توفي بالمدينة سنة (٥٤)هـ [انظر: معجم الصحابة (١٩٩/١) لابن قانع، والثقات (٧١/٣) لابن حبان، ومعرفة الصحابة (٨٤٥/٢)]، والبيت من البسيط في ديوان حسان (٤٧٦).

وكذلك فعل بالراهب الذي قتل المرأة وولدها، أمره بالزنى بها، ثم بقتلها، ثم دلَّ أهلها عليه، وكشف أمره لهم/(١)، ثم أمره بالسجود له، فلما فعل فرَّ عنه وتركه(٢)، وفيه أنزل الله سبحانه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الحشر:١٦]، وهذا السياق لا يختص بالذي ذكرت عنه(٣) هذه القصة(٤)، بل هو عام في كل من أطاع الشيطان في أمره له بالكفر، لينصره ويقضي حاجته؛ فإنه يتبرأ منه ويُسلمه، كما يتبرأ(٥) من أوليائه جملة في النار، ويقول لهم: ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [سورة إبراهيم:٢٢]، فأوردهم شر الموارد، وتبرأ منهم كل البراء.

وتكلم الناس في قول عدو الله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ فقال قتادة وابن إسحاق(٦): صدق

---

(١) (٥١/ب).

(٢) قصة الراهب، وقد ذكرها مقاتل في تفسيره (٣٤٢/٣) وسماه: برصيصا، وقد جاءت هذه القصة مرفوعة من طريق عبيد بن رفاعة الزرقي يرفعه إلى النبيﷺ كما أخرجها البيهقي في الشعب برقم (٥٤٤٩)، وابن الجوزي في المنتظم (١٥٨/٢)، وجاءت موقوفة عن علي ﷺ كما أخرج الصنعاني في تفسيره (٢٨٥/٣)، والحاكم في المستدرك برقم (٣٨٠١)، والطبري (٤٩/٢٨)، والبيهقي في الشعب برقم (٥٤٥٠)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجها الطبري (٤٩/٢٨) عن ابن مسعود ﷺ، كما أخرجها الطبري (٤٩/٢٨) والثعلبي (٢٨٤/٩) عن ابن عباس ﷺ من طريق العوفي، كما أخرجها الطبري (٥٠/٢٨) وأبو نعيم في الحلية (٧/٤) عن طاووس، كما أخرجها أبو بكر الدينوري في المجالسة برقم (٢٥٦٩) عن هلال بن يساف، كما أخرجها ابن الجوزي في المنتظم (١٥٨/٢) وفي ذم الهوى (١٦٢) عن وهب بن منبه.

(٣) في (ع): [حصلت عنده]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [ذكرت عنه] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٤) في (ع): [القضية]، وقد أخرج الطبري (٥١/٢٨) عن مجاهد قال: "﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ عامة للناس"، وهذا قول جمهور المفسرين كما في زاد المسير (٢١٩/٨)، وقال ابن كثير في تفسيره (٧٥/٨): "وقد ذكر بعضهم هاهنا قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل، لا أنها المرادة وحدها بالمثل، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكله لها"، ولأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٥) في (ش): [تبرأ].

(٦) محمد بن إسحاق بن يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، أبو بكر المدني، ثقة روى عن نافع مولى ابن عمر والزهري، وروى عنه الثوري وشعبة، أول من جمع مغازي رسول اللهﷺ، توفي ببغداد سنة (١٥١)هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٣٢١/٧)، والتاريخ الكبير (٤٠/١)، والجرح والتعديل (١٩١/٧)].

عدوُّ الله في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾(١)، وكذب في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾، والله ما به مخافة الله(٢)، ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة، فأوردهم وأسْلَمَهم، وكذلك عادة عدوُّ الله بمن أطاعه(٣).

وقالت طائفة: إنما خاف بطشة الله به في الدنيا، كما يخاف الكافر والفاجر أن يقتل أو يؤخذ بجرمه، لا أنه خاف عقابه في الآخرة، وهذا أصح(٤)، وهذا الخوف لا يستلزم إيماناً ولا نجاة(٥).

قال الكلبي: "خاف أن يأخذه جبريل فيُعرِّفهم حاله فلا يطيعونه"(٦)، وهذا فاسد، فإنه إنما قال لهم ذلك بعد أن فرَّ ونكص على عقبيه؛ إلا أن يريد أنه إذا عَرَّف المشركين(٧) أن الذي أجارهم وأوردهم إبليس لم يطيعوه فيما بعد ذلك، وقد أبعد النُّجْعَة(٨) إن أراد(١)

---

(١) هذا كلام ابن إسحاق في سيرته (٢٨٥/٣)، ونص كلامه: "وصدق عدو الله أنه رأى ما لا يرون فقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ فأوردهم ثم أسْلَمَهم"، وكذا أخرجه الطبري في تفسيره عنه (١٩/١٠)، وابن القيم في نسبة القول لهما تبع للثعلبي (٣٦٦/٤)، .

(٢) في (ع): [لله]، واختار كونه كذب في دعواه خوف الله تعالى ابن أبي زمنين (١٨١/٢) (٣٧٢/٤)، وابن العربي (٢٢٢/٤).

(٣) أخرج الطبري (١٩/١٠) وابن أبي حاتم (١٧١٦/٥) عن قتادة قال: "ذُكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة، فزعم عدو الله أنه لا يدان له بالملائكة، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ وكذب واللهِ عدوُّ اللهِ، ما به مخافة الله، ولكن عَلِمَ أن لا قوة له ولا منعة له، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستعاذ به، حتى إذا التقى الحق والباطل أسْلَمَهم شرَّ مُسْلَمٍ وتبرَّأ منهم عند ذلك"، وهذا قول مقاتل كما في تفسيره (٢١/٢).

(٤) وهكذا رجحه ابن القيم في زاد المعاد (١٨١/٣) حيث قال: "وقيل كان خوفه على نفسه أن يهلك معهم، وهذا أظهر".

(٥) ذكر هذا القول السمعاني في تفسيره (٤٠٧/٥) وقال: هو المشهور.

(٦) نسبه للكلبي الثعلبي (٣٦٦/٤)، والبغوي (٣٦٧/٣)، وهو ما جاء في تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١٥٠) وكل ما في هذا التفسير جمعه الفيروز آبادي من طريق الكلبي كما هو معلوم، واختاره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (النسخة المسندة) (١١١٨/٢)، ونسبه السمرقندي إلى ابن عباس (٢٥/٢).

(٧) في (ع): [المشركون].

(٨) النُّجْعَة: هي المذهب في طلب الكلأ، ثم أُطلقت على كل طالبِ حاجةٍ، والمعنى أنه تكلف القول بالمعنى البعيد وترك المعنى القريب [انظر: العين (٢٣٣/١)، وجمهرة اللغة (٤٨٥/١)، وتهذيب اللغة (٢٤٤/١)].

ذلك، وتكلّف غير المراد.

وقال عطاء: "إني أخاف الله أن يهلكني فيمن يُهلك"(٢)، وهذا خوف هلاك الدنيا فلا ينفعه.

وقال الزجاج وابن الأنباري(٣): "ظن أن الوقت الذي أنظر إليه قد حضر"(٤)، زاد ابن الأنباري قال: أخاف أن يكون الوقت المعلوم الذي يزول معه إنظاري قد حضر؛ فيقع بي العذاب، فإنه لما عاين الملائكة؛ خاف أن يكون وقت الإنظار قد انقضى، فقال ما قال إشفاقاً على نفسه(٥).

**ف**

ومن كيد عدو الله أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه؛ فلا يجاهدوهم، ولا يأمروهم بالمعروف، ولا ينهوهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان/(٦)، وقد أخبرنا الله سبحانه عنه بهذا فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٧٥]، المعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه(٧)، قال

---

(١) في (ع) زيادة: [غير].

(٢) نسبه لعطاء الثعلبي (٣٦٦/٤)، والواحدي في الوسيط (٤٦٦/٢)، والبغوي (٣٦٦/٣)، وابن الجوزي (٣٦٧/٣)، واختاره الواحدي في الوجيز (٤٤٣/١).

(٣) محمد بن القاسم بن بشار بن محمد بن الحسن بن بيان الأنباري، أبو بكر النحوي، من أعلم أهل زمانه في النحو والأدب، وأكثرهم حفظًا له، كان من نحاة الكوفة، له (الزاهر) و(المذكر والمؤنث)، روى عن إبراهيم الحربي وأحمد بن الهيثم ، وروى عنه الدارقطني وابن بطة، توفي ببغداد سنة (٣٢٨)هـ [انظر: تاريخ بغداد (١٨١/٣)، وطبقات الحنابلة (٦٩/٢)، والأنساب (٢١٢/١)].

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤٢١/٢)، واختاره الماوردي في النكت والعيون (٣٢٥/٢).

(٥) نقله عن ابن الأنباري ابن الجوزي في زاد المسير (٣٦٧/٣)، ومن الأقوال في الآية أيضًا، ما ذكره السمعاني (٤٠٧/٥) أن المراد هو الخوف من العقوبة في الآخرة إلا أن خوفه لا ينفعه لعدم الإيمان، ونقل البغوي (٣٦٧/٣) والخازن (٤١/٣) أن المعنى ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أي: أعلم صدق وعده لأوليائه لأنه كان على ثقة من أمره.

(٦) (٥٢/أ).

(٧) أخرجه الطبري (١٨٣/٤-١٨٤) وابن أبي حاتم (٨٢٠/٣) عن ابن عباس ﷺ من طريق العوفي، كما أخرجه الطبري (١٨٣/٤-١٨٤) عن مجاهد ومحمد بن إسحاق وسالم الأفطس، قال ابن أبي حاتم (٨٢٠/٣): "وروي

قتادة: يعظمهم في صدوركم[١]، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه[٢] قوي خوفه

---

عن مجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي"، وهو قول مجاهد كما في تفسيره (١/١٣٩)، ومقاتل (١/٢٠٥)، وابن هشام في السيرة (٤/٧٧)، والفراء في معاني القرآن (١/٢٤٨)، والأخفش في معاني القرآن (١/٢٤٠)، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (١١٦)، والطبري (٤/١٨٣)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/٤٩٠)، وابن أبي زمنين (١/٣٣٦)، والثعلبي (٣/٢١٤)، ومكي في تفسير المشكل من غريب القرآن (٥٤)، والواحدي في الوسيط (١/٥٢٣)، والبغوي (٢/١٣٩)، وابن القيم في بدائع الفوائد (٢/٤٦٣)، وابن كثير (٢/١٧٢)، وغيرهم، وقد دلّ على هذا القول قراءة أبي بن كعب: (يخوفكم بأولياءه) كما في تفسير الثعلبي (٣/٢١٥)، والوسيط للواحدي (١/٥٢٤)، وتفسير السمعاني (١/٣٨٢)، والبغوي (٢/١٣٩) وغيرها، وهو قول أهل اللغة كما في مجالس ثعلب (الجزء الحادي عشر) (٢/٥٥٠)، وابن سيدة في المخصص (٣/٣٥٤)، وابن منظور في اللسان (٩/٩٩)، وابن هشام في مغني اللبيب (٨٣٨).

(١) اعتبر الطبري (٤/١٨٤) هذا قولا ثانيا وحمله على المنافقين فقال: "وقال آخرون معنى ذلك: إنما ذلكم الشيطان يعظم أمر المشركين أيها المنافقون في أنفسكم فتخافونه"، وقد أخرجه الطبري (٤/١٨٤) وابن أبي حاتم (٣/٨٢٠) عن السدي، وأخرجه ابن أبي حاتم (٣/٨٢٠) عن أبي مالك غزوان الغفاري، والقول الثالث في معنى الآية: أن المراد يخوف المشركين بالمسلمين، وقد أخرجه الطبري (٤/١٨٣) وابن أبي حاتم (٣/٨٢١) عن قتادة قال: "يخوف والله المؤمن بالكافر، ويرهب بالمؤمن الكافر" هذا ما وقفت عليه مسندًا عن قتادة، وأخرجه ابن أبي حاتم (٣/٨٢١) عن سعيد بن جبير، وذكر النحاس في معاني القرآن (١/٥١٣) قولا رابعًا؛ وأن المراد يخوف المنافقين الفقر حتى لا ينفقوا لأنهم أشد خوفًا، وأما اللفظ الذي نسبه ابن القيم لقتادة فهو لفظ السدي كما أخرج الطبري (٤/١٨٤) وابن أبي حاتم (٣/٨٢٠)، ولا شك أن الراجح هو قول جمهور المفسرين أن المعنى: يخوفكم بأولياءه، أو يخوفكم من أولياءه، أو يخوفكم أولياءه، لدليلين: **الأول**: سياق الآيات، فقد دلَّ على أن الآية نزلت بسبب تخويفهم من الكفار، كما قال قبلها ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ ثم قال بعدها: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فهي إنما نزلت فيمن خوّف المؤمنين من الناس، **والثاني**: لفظ الآية، فقد قال: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ ثم قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ والضمير عائد إلى أولياء الشيطان الذين قال فيهم: ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾، ولو كان المراد: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: يجعلهم خائفين؛ لم يكن للضمير ما يعود عليه، علاوة على كون الشيطان يَعِدُ أولياءه ويُمنيهم وليس يُخوفهم كما قال تعالى ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة النساء:١٢٠]، وقال: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٤٨]، وللتوسع انظر: مجموع الفتاوى (١/٥٦-٥٧) (١٤/٢٠٣-٢٠٥) .

(٢) في النسختين: [إيمان العبد].

منهم.

ومن مكايده أنه يسحر العقل دائما حتى يكيده، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره، حتى يُخيّل إليه أنه من أنفع الأشياء له، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يُخيّل له[١] أنه يضره، فلا إله إلا الله كم فتن بهذا السحر من إنسان، وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان، وكم جلاّ[٢] الباطل وأبرزه في صورة مُستحسنة، وبشّع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة، وكم بَهْرَجَ من الزُيُوف[٣] على الناقدين، وكم روّج من الزَّغَل[٤] على العارفين، فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهم في[٥] سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم في المهالك في مهلك بعد مهلك، وزين لهم عبادة الأصنام، وقطيعة الأرحام، ووأد البنات، ونكاح الأمهات، ووعدهم الفوز بالجنان مع الكفر والفسوق والعصيان، وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم[٦]، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه على

---

(١) في النسختين: [إليه].

(٢) في (ش): [حلاً]، وفي (ع) زيادة: [جمل].

(٣) الزُيُوف جمع زَيْف، وهي الدراهم المغشوشة، والمعنى أظهر لهم الدراهم المغشوشة الرديئة بصورة الجيدة، وكذا البهرج يطلق في الأصل على الدراهم المغشوشة، قال ابن سيدة في المخصص: "قال الأصمعي: درهم بهرَج: رديء، وكل مردود عند العرب بهرَج ونبَهرج، وكرِهها بعضهم، وقيل: هو فارسي معرّب، أصله بالفارسية نبهره...وقال أبو عبيدة: درهم زائف وزيْف كذلك، والجمع زُيُوف، وصرّف منهما فقال: بهرجته وزيّفته" [انظر: العين (٣٩٠/٧)، والمحكم (٩٣/٩)، والمخصص (٢٩٨/٣)، ولسان العرب (١٤٢/٩)].

(٤) الزَّغل في أصل اللغة صبُّ الشيء على دفعات، والمراد بالزَّغل هنا الدراهم الرديئة المغشوشة، ومنه الزغلي وهو الذي يقوم بتزوير الدراهم، والمعنى أظهر لهم الدراهم المغشوشة الرديئة بصورة الجيدة بحيث لم يميزوها فراجت عليهم [انظر: جمهرة اللغة (٨١٩/٢)، والمحكم (٤٤٦/٥)، وإغاثة اللهفان (٧٣/٢)، والصواعق المرسلة (٩٢٩/٣)].

(٥) في (ع): [من].

(٦) هذه حجة كثير من المشركين على شركهم، قال شيخ الإسلام في الرد على المنطقيين (٢٨٥): "والشرك في بني آدم أكثره عن أصلين: **أولهما**: تعظيم قبور الصالحين، وتصوير تماثيلهم للتبرك بها، وهذا أول الأسباب التي بها ابتدع الآدميون الشرك، وهو شرك قوم نوح...**والسبب الثاني**: عبادة الكواكب، فكانوا يصنعون للأصنام طلاسم للكواكب، ويتحرون الوقت المناسب لصنعة ذلك الطلسم، ويصنعونه من مادة تناسب ما يرونه من طبيعة ذلك الكوكب، ويتكلمون عليها بالشرك والكفر، فتأتي الشياطين فتكلمهم وتقضى بعض حوائجهم،

عرشه وتكلمه بكتبه[١] في قالب التنزيه[٢]، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس وحسن الخلق معهم، والعمل بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة المائدة:١٠٥][٣]، والإعراض عما جاء به الرسول في قالب التقليد والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم، والنفاق والإِدْهَان[٤] في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد

---

ويسمونها روحانية الكواكب"، وقال في مجموع الفتاوى (٣١/١٥): "وذلك أن نوحاً أول رسول بعث إلى المشركين، وكان مبدأ شركهم من تعظيم الموتى الصالحين، وقوم إبراهيم مبدأه من عبادة الكواكب، ذاك الشرك الأرضي، وهذا السماوي، ولهذا سدَّ ذريعة هذا وهذا"، ولا شك أن عبادة الكواكب من باب التعظيم كذلك، وانظر: مفتاح دار السعادة (١٩٧/٢)، وسيأتي تفصيل كلام ابن القيم في هذا الباب حين الكلام على الفتنة بالقبور.

(١) سقط قوله: [بكتبه] من (ع).

(٢) هذه حجة المعطلة على نفي صفات الله تعالى أو تأويلها، قال شيخ الإسلام في منهاج السنة (٥٨٩/٤): "ما ذكرتموه من التنزيه إنما هو تعطيل وتنقيص لله ولأنبيائه، بيان ذلك أن قول الجهمية نفاة الصفات يتضمن وصف الله تعالى بسلب صفات الكمال التي يشابه فيها الجمادات والمعدومات، فإذا قالوا: إنه لا تقوم به حياة، ولا علم، ولا قدرة، ولا كلام، ولا مشيئة، ولا حب، ولا بغض، ولا رضا، ولا سخط، ولا يرى، ولا يفعل بنفسه فعلا، ولا يقدر أن يتصرف بنفسه، كانوا قد شبهوه بالجمادات المنقوصات، وسلبوه صفات الكمال، فكان هذا تنقيصا وتعطيلا لا تنزيها، وإنما التنزيه أن ينزه عن النقائض المنافية لصفات الكمال، فينزه عن الموت، والسنة، والنوم، والعجز، والجهل، والحاجة، كما نزه نفسه في كتابه، فيُجمع له بين إثبات صفات الكمال ونفي النقائص المنافية للكمال، ويُنزه عن مماثلة شيء من المخلوقات له في شيء من صفاته، ويُنزه عن النقائص مطلقا، ويُنزه في صفات الكمال أن يكون له فيها مثل من الأمثال".

(٣) أخرج أبو داود في كتاب الملاحم باب الأمر والنهي ح(٤٣٣٨)، والترمذي في كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ح(٢١٦٨)، وابن ماجه في كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح(٤٠٠٥)، والإمام أحمد ح(١) وغيرهم من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: ((يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ وإنا سمعنا النبي ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)) وفي رواية: ((وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب))، هذا الحديث بيّن المعنى الصحيح للآية، وقد اختلف في رفعه ووقفه، والصواب رفعه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه النووي في الأذكار (٢٦٢)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(١٥٦٤).

(٤) هو اللِّينُ والمصانعة والمواربة [انظر: العين (٢٧/٤)، وتهذيب اللغة (١١٦/٦)، ومعجم مقاييس اللغة

بين الناس.

فهو صاحب الأبوين [حين][(١)] أخرجهما من الجنة، وصاحب قابيل[(٢)] حين قتل أخاه[(٣)]، وصاحب قوم نوح حين أُغرقوا، وقوم عاد[(٤)] حين أُهلكوا بالريح العقيم، وصاحب قوم صالح حين أُهلكوا بالصيحة، وصاحب الأمة اللوطية حين خُسف بهم، وأُتبعوا بالرجم بالحجارة، وصاحب فرعون[(٥)] وقومه حين أُخذوا الأخذة الرابية، وصاحب عُبّاد العجل حين جرى عليهم ما جرى، وصاحب قريش[(٦)] حين دُعوا يوم بدر، وصاحب

---

(٣٠٨/٢)].

(١) في الأصل: [حتى]، والصواب ما أثبته من النسختين، ليستقيم الكلام، ويناسب ما بعده.

(٢) قابيل بن آدم عليه السلام، قال الطبري في تاريخه (٨٨/١): "وأهل العلم يختلفون في اسم قابيل؛ فيقول بعضهم: هو قين بن آدم، ويقول بعضهم: هو قايين بن آدم، ويقول بعضهم: هو قاين، ويقول بعضهم: هو قابيل".

(٣) وقد وردت القصة في سورة المائدة قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة:٢٧]، قال الطبري (١٨٩/٦): "وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب أن اللذين قربا القربان كانا ابني آدم لصلبه لا من ذريته من بني إسرائيل، وذلك أن الله عز وجل يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة، والمخاطبون بهذه الآية كانوا عالمين أن تقريب القربان لله لم يكن إلا في ولد آدم دون الملائكة والشياطين وسائر الخلق غيرهم... فمعلوم أنه عنى ابني آدم لصلبه، لا ابني بنيه الذين بعد منه نسبهم، مع إجماع أهل الأخبار والسير والعلم بالتأويل على أنهما كانا ابني آدم لصلبه، وفي عهد آدم وزمانه، وكفى بذلك شاهدًا".

(٤) عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح عليه السلام، سكن وقومه الأحقاف، في جنوب الجزيرة العربية [انظر: المعارف (٢٧) لابن قتيبة، وتفسير الطبري (٢١٧/٨)، وإعراب القرآن (٢٨٠/٤) للنحاس].

(٥) يقال إن اسمه الوليد بن مصعب بن الريان، كما أخرج الطبري (٢٧٠/١) عن محمد بن إسحاق، وانظر: المعارف (٤٣)، والأخبار الطوال (٣٧، ٤٧)، وتاريخ الطبري (٢٣٢/١).

(٦) قبيلة من أشرف قبائل العرب، وهي قبيلة النبيﷺ، وهم بنو النضر بن كنانة، فهو جميع قريش، فمن لم يكن من ولد النَّضر فليس بقرشيّ، واختلف في سبب تسميتها بذلك، فقيل: نسبة إلى دابة في البحر لا تدع دابة إلا أكلتها، فجميع الدواب تخافها، وقيل: سُميت بذلك لتقرشها، أي: تجمعها إلى مكة من حواليها بعد تفرقها في البلاد، حين غلب عليها قُصي بن كلاب، وبه سُمي قُصي: مُجمعًا، وقيل: سُميت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر، كان صاحب عيرهم، فكانوا يقولون: قدمت عير قريش، وخرجت عير قريش، وقيل: سُميت بذلك، لكونهم أهل تجارة وتكسب، وضرب في البلاد ابتغاء الرزق، والقرش: الكسب، وهي قسمين: قريش البطاح: الذين ينزلون بطحاء مكة، وقريش الظواهر: الذين ينزلون ما حول مكة [انظر: جمهرة اللغة (٢٨١/١)،

كل/(١) هالك مفتون(٢).

**ف**

وأول كيده ومكره أنه كاد الأبوين بالأيمان الكاذبة: أنه ناصح لهما، وأنه إنما يريد خلودهما في الجنة، قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠-٢٢]، فالوسوسة: حديث النفس والصوت الخفي(٣)، وبه سُمي صوت الحلي وسواساً (٤)، ورجل مُوَسْوِس بكسر الواو ولا تفتح فإنه لحنٌ، وإنما قيل له: موسوِس لأن نفسه توسوس إليه(٥)، قال تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [سورة ق:١٦].

وعلم عدو الله أنهما إذا أكلا من الشجرة بدت لهما عوراتهما(٦)؛ فإنها معصية، والمعصية تهتك ستر ما بين الله وبين العبد، فلما عصيا انْهَتَك ذلك الستر، فبدت لهما سوآتهما، فالمعصية تُبدي السوأة الباطنة والظاهرة، ولهذا رأى النبيﷺ في رؤياه الزناة والزواني عراة بادية سوآتهم (٧)، وهكذا إذا رُؤي الرجل أو المرأة في منامه مكشوف السوأة؛ فإنه يدل على

---

وتهذيب اللغة (٢٣٠/٤) (٢٥٤/٨)، والاشتقاق (٢٧)، والمحكم (٢٤٧/٣) (١٥٧/٦) لابن سيدة، ومعجم البلدان (٤٤٤/١) (٣٣٦/٤)].

(١) (٥٢/ب)

(٢) في النسختين: [ومفتون].

(٣) في العين (٣٣٥/٧)، وفيه: "والوسواس: الصوت الخفي من ريح تهز قصبا ونحوه".

(٤) انظر: العين (٣٣٥/٧)، وتهذيب اللغة (٩٢/١٣)، ومعجم مقاييس اللغة (١٦٠/١).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٩٣/١٣) نقلا عن ثعلب عن ابن الإعرابي أنه بكسر الواو لا بفتحها، وقال: "وإنما قيل: موسوِس لأنه يحدّث نفسه بما في ضميره"، وانظر: اللسان (٢٥٥/٦).

(٦) في (ع): [سوءاتهما].

(٧) أخرجه من حديث سمرة بن جندب البخاري في كتاب التعبير باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ح(٦٦٤٠)، وفي كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين ح(١٣٢٠).

فساد في دينه[١]، قال الشاعر[٢]:

إني كـــأني أرى مَـــنْ لا حيـــاءَ لـــه ولا أمانـــةَ وســـطْ النـــاسِ عُرْيانـــاً

فإن الله سبحانه أنزل لباسين: لباساً ظاهراً يواري العورة ويسترها، ولباساً باطناً من التقوى يجمل العبد ويستره، فإذا زال عنه هذا اللباس انكشفت عورته الباطنة، كما تنكشف عورته الظاهرة بنزع ما يسترها.

ثم قـــال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أي: إلا كراهـــة أن تكونا ملَكين، وكراهة أن تخلدا في الجنة[٣]، ومن ههنا دخل عليهما؛ لما عرف أنهما يريدان الخلود فيها.

وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم؛ فإنه يجري منه مجرى الدم[٤]، حتى يصادق نفسه، ويخالطها، ويسألها/[٥] عما تحبه وتؤثره، فإذا عرفه[٦] استعان بها على

---

(١) في (ع) زيادة: [ومنه].

(٢) البيت من البسيط، ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٢٦/٤) من إنشاد أبي عرابة الدوسي، ونسبه ابن منظور في لسان العرب (٤٢٨/٧) لسوار بن المضرب.

(٣) في (ش) زيادة: [أو تكونا من الخالدين]، وانظر: معاني القرآن (٣٢٢/١) للأخفش، وتفسير الطبري (١٤٠/٨)، إعراب القرآن (١١٨/٢) للنحاس، وتفسير السمرقندي (٥٢٣/١)، وابن أبي زمنين (١١٥/٢)، والثعلبي (٢٢٣/٤)، وابن عطية (٣٨٥/٢)، والبغوي (١٥٣/٢)، والزمخشري (٩١/٢)، والتبيان للعكبري (٥٦٠/١)، وتفسير القرطبي (١٧٨/٧)، وابن جزي (٣٠/٢) وأبو حيان (٢٨٠/٤) وقال: "إلا كراهة أن تكونا ملكين، ويقدره الكوفيّون: إلا أن تكونا، وإضمار الاسم -وهو: كراهة- أحسن من إضمار الحرف -وهو: لا".

(٤) ورد هذا في حديث قصة مجيء صفية ﵂ لزيارة النبي ﷺ وهو معتكف بالمسجد، والحديث من رواية صفية ﵂ قالت: ((كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت، فانقلبت فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: على رسلكما! إنها صفية بنت حيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءاً، أو قال: شيئاً))، وقد أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ح(٣١٠٧)، ومسلم في كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خالياً بامرأة وكانت زوجة أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليرفع ظن السوء به ح(٢١٧٥).

(٥) (٥٣/أ).

(٦) في (ع): [عرف].

العبد، ودخل عليه من هذا الباب.

وكذلك علَّم إخوانه وأولياءه من الإنس؛ إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضا؛ أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه، فإنه باب لا يخذل(١) عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول(٢) من غيره فالباب عليه مسدود، وهو عن طريق مقصده مصدود.

فشام(٣) عدو الله الأبوين، فأحس منهما إيناساً وركوناً إلى الخلد في تلك الدار؛ في النعيم المقيم، فعلم أنه لا يدخل عليهما من غير هذا الباب، فقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾، وكان عبدالله بن عباس يقرؤها: ﴿مِلكين﴾(٤) بكسر اللام(٥)، ويقول(٦): لم يطمعا أن يكونا من الملائكة، ولكن استشرفا أن يكونا مِلكين، فأتاهما من جهة المُلك، ويدل على هذه القراءة قوله في الآية الأخرى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [سورة طه: ١٢٠](٧).

---

(١) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [يحجب].

(٢) في (ع) زيادة: [عليه].

(٣) شام: أي دخل، ذلك أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم [انظر: تهذيب اللغة (٢٩٨/١١)، ومعجم مقاييس اللغة (٢٣٦/٣)، والمحكم (١٠٨/٨)].

(٤) سقط قوله: [مِلكين] من (ع).

(٥) أخرجها عنه الطبري (١٤٠/٨)، كما أخرجها الطبري عن يحيى بن أبي كثير، وانظر: معاني القرآن (٢٠/٣) للنحاس، ونسبها النحاس في إعراب القرآن (١١٨/٢) والثعلبي (٢٢٣/٤) والسمعاني (١٧١/٢) وابن عطية (٣٨٥/٢) إلى يحيى بن أبي كثير والضحاك، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير (١٧٩/٣) إلى الزهري.

(٦) في (ع): [وقال].

(٧) عزاه لابن عباس الواحدي في البسيط (رسالة دكتوراه غير منشورة بتحقيق: د/محمد الفايز) (٦٠٥/٢)، ونقله عنه الرازي (٤٠/١٤)، وابن عادل (٥٧/٩)، وانظر توجيه القراءة في تفسير الطبري (١٤٠/٨)، وقد رجح الطبري قراءة الفتح، ولم يستجز القراءة بغيرها، وقال النحاس في معاني القرآن (٢٠/٣-٢١): "وأنكر أبو عمرو بن العلاء كسر اللام، وقال: لم يكن قبل آدم ﷺ مَلِك فيصيرا مَلِكين"، وقال في إعراب القرآن (١١٨/٢): "وزعم أبو عبيد أن احتجاج يحيى بن أبي كثير بقوله ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ حجةٌ بينة، ولكن الناس على تركها، فلهذا تركناها، قال أبو جعفر: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ قراءة شاذة، وقد أُنكر على أبي عبيد هذا

وأما على القراءة المشهورة؛ فيقال: كيف أطمع عدو الله آدم أن يكون بأكله من الشجرة من الملائكة، وهو يرى الملائكة لا تأكل ولا تشرب، وكان آدم أعلم بالله وبنفسه وبالملائكة من أن يطمع أن يكون منهم بأكله، ولا سيما مما نهاه الله عنه؟!.

**فالجواب**: أن آدم وحواء لم يطمعا في ذلك أصلا، وإنما كذبهما عدو الله، وغرّهما وخدعهما بأن سمّى تلك الشجرة شجرة الخلد(١)، فهذا أول المكر والكيد، ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها(٢)، فسمّوا الخمر: أم الأفراح(٣)، وسمّوا أخاها بلقيمة الراحة(٤)، وسموا الربا بالمعاملة(١)، وسمّوا المكوس(٢) بالحقوق السلطانية(٣)، وسمّوا أقبح الظلم وأفحشه شرع الديوان(٤)، وسمّوا أبلغ الكفر وهو

الكلام، وجُعل من الخطأ الفاحش، وهل يجوز أن يتوهم آدمﷺ أنه يصل إلى أكثر من ملك الجنة وهي غاية الطالبين!؟ وإنما معنى ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ المقامُ في ملك الجنة والخلود فيه"، وانظر: الثعلبي (٢٢٣/٤).

(١) قال الرازي في تفسيره (٤١/١٤):"أن المحققين أنكروا حصول هذا التصديق قطعاً وظناً، بل الصواب أنهما إنما أقدما على الأكل لغلبة الشهوة، لا أنهما صدقاه علماً أو ظناً، كما نجد أنفسنا عند الشهوة؛ نقدم على الفعل إذا زين لنا الغير ما نشتهيه، وإن لم نعتقد أن الأمر كما قال".

(٢) وقد ذكر ابن القيم هذا في الصواعق المرسلة (٤٣٧/٢-٤٣٨) ضمن الأسباب التي تدعو إلى قبول التأويل، فقال: "**السبب الأول**: أن يأتي به صاحبه مموها، مزخرف الألفاظ، ملفق المعاني، مكسوا حلة الفصاحة، والعبارة الرشيقة، فتسرع العقول الضعيفة إلى قبوله واستحسانه، وتبادر إلى اعتقاده وتقليده، ويكون حاله في ذلك حال من يعرض سلعة مموهة مغشوشة على من لا بصيرة له بباطنها وحقيقتها؛ فيحسنها في عينه، ويحببها إلى نفسه، وهذا الذي يعتمده كل من أراد ترويج باطل، فإنه لا يتم له ذلك إلا بتمويهه وزخرفته، وإلقائه إلى جاهل بحقيقته"، وانظر: إعلام الموقعين (١١٧/٣).

(٣) أسماء الخمر كثيرة جداً، وقد ذكرها أهل اللغة والمعاجم، ولم أقف على هذا الاسم عند غير ابن القيم، وهذه التسميات مصداق لما رواه أبو مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبيﷺ قال: ((ليشربن أناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها)) والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الأشربة باب في الداذي ح(٣٦٨٨)، وابن ماجه في كتاب الفتن باب العقوبات ح(٤٠٢٠)، والإمام أحمد ح(٢٢٩٥١)، وابن حبان ح(٦٧٥٨)، وغيرهم، قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (١٢٧/٣): "وإسناد ابن ماجه إلى معاوية بن صالح صحيح، وسائر إسناده حسن، فإن حاتم ابن حريث شيخ، ومالك بن أبي مريم من قدماء الشاميين، ولهذا الحديث أصل في الصحيح"، وصحح إسناده ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢٦١/١، ٣٤٧)، والألباني في صحيح الجامع ح(٩٥٨٤)، وقد ورد الحديث عن عدد من الصحابة كعائشة رضي الله عنها، وأبي أمامة الباهلي، وعبادة بن الصامت، وابن عباس، وعن رجل من أصحاب النبيﷺ، وغيرهم.

(٤) يريد بها الحشيشة، قال ابن القيم في إعلام الموقعين (١١٧/٣): "كمن يستحل الحشيشة باسم لقيمة الراحة"، وقال الصنعاني في تطهير الاعتقاد (١٩): "فسمى الشجرة التي نهى الله آدم عن قربانها شجرة الخلد، جذبا لطبعه

السلطانية(٣)، وسمّوا أقبح الظلم وأفحشه شرع الديوان(٤)، وسمّوا أبلغ الكفر وهو جحد صفات الرب تنزيها، وسمّوا مجالس الفسوق مجالس الطيبة(٥)، فلما سمّاها شجرة الخلد قال: ما نهاكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تأكلا منها فتخلدا في الجنة ولا تموتا؛ فتكونان مثل

---

إليها، وهزا لنشاطه لقربانها، وتدليسا عليه بالاسم الذي اخترعه، كما يُسمي إخوانه المقلدون له الحشيشة بلقمة الراحة"، وانظر: الصواعق المرسلة (٢/٤٣٨).

(١) قال ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/٣٥١): "وكذلك المفسدة العظيمة التي اشتمل عليها الربا لا تزول بتغيير اسمه من الربا إلى المعاملة، ولا بتغيير صورته من صورة إلى صورة، والحقيقة معلومة متفق عليها بينهما قبل العقد يعلمها من قلوبهما عالم السرائر، فقد اتفقا على حقيقة الربا الصريح قبل العقد، ثم غيرا اسمه إلى المعاملة، وصورته إلى التبايع، الذي لا قصد لهما فيه ألبتة، وإنما هو حيلة ومكر ومخادعة لله تعالى ولرسوله".

(٢) جمع مَكْس، وهو ما يأخذه العَشَّار، وقيل: المكس الجباية، وقيل: هي دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الجاهلية، وأصله من المكْس: وهو انتقاص الثمن في البيع [انظر: العين (٥/٣١٧)، وجمهرة اللغة (٢/٨٥٥)، وتهذيب اللغة (١٠/٥٤)].

(٣) قال النووي في الأذكار (٢٩٤): "مما يتأكد النهي عنه والتحذير منه ما يقوله العوام وأشباههم في هذه المكوس التي تؤخذ مما يبيع أو يشترى ونحوهما، فإنهم يقولون: هذا حق السلطان، أو عليك حق السلطان، ونحو ذلك من العبارات المشتملة على تسميته حقًا أو لازما أو نحو ذلك، وهذا من أشد المنكرات، وأشنع المستحدثات، حتى قد قال بعض العلماء: من سمى هذا حقًا فهو كافر خارج عن ملة الإسلام، والصحيح أنه لا يكفر إلا إذا اعتقده حقًا مع علمه بأنه ظلم، فالصواب أن يقال فيه: المكس، أو ضريبة السلطان، أو نحو ذلك من العبارات"، وانظر: زاد المعاد (٢/٤٣٣).

(٤) المراد به ما كان مفروضاً على الناس من أنظمة وقوانين ظالمة من قِبَل الدواوين، فيقول العوام: هذا شرع الديوان، قال ابن القيم في إعلام الموقعين (١/٢٤٤): "وقد أمرنا الله برد ما تنازعنا فيه إليه وإلى رسوله ﷺ، فلم يُبح لنا قط أن نرد ذلك إلى رأي، ولا قياس، ولا تقليد إمام، ولا منام، ولا كشوف، ولا إلهام، ولا حديث قلب، ولا استحسان، ولا معقول، ولا شريعة الديوان، ولا سياسة الملوك، ولا عوائد الناس التي ليس على شرائع المسلمين أضر منها، فكل هذه طواغيت، من تحاكم إليها؛ أو دعا مُنازِعة إلى التحاكم إليها؛ فقد حاكم إلى الطاغوت"، وقال في موضع آخر (٣/١١٨): "وأي شيء نفع المكسة تسمية ما يأخذونه ظلمًا وعدوانًا حقوقًا سلطانية، وتسمية أوضاعهم الجائرة الظالمة المناقضة لشرع الله ودينه شرع الديوان"، قال السبكي في معيد النعم (٣٤)-بعد ذكره لبعض تلك الأوضاع الجائرة-: "ومن قبائحهم أنهم إذا اعتمدوا شيئاً مما جرت به عوائدهم القبيحة يقولون: هذا شرع الديوان؛ والديوان لا شرع له، بل الشرع لله تعالى ولرسوله ﷺ، فهذا الكلام ينتهي إلى الكفر، وإن لم تنشرح النفس لتكفير قائله؛ فلا أقلَّ من ضربه بالسياط؛ ليكف لسانه عن هذا التعظيم الذي هو في غنية عنه بأن يقول : عادة الديوان، أو طريقه، أو نحو ذلك من الألفاظ التي لا تُنكر".

(٥) في (ش) زيادة: [وغير ذلك].

الملائكة الذين لا يموتون، ولم يكن آدم قد علم أنه يموت بعد، واشتهى الخلود في الجنة، وحصلت الشبهة من قول العدو وإقسامه/(١) بالله جهد أيمانه أنه ناصح لهما(٢)، فاجتمعت الشبهة والشهوة، وساعد القدر لما قد فرغ الله سبحانه من تقديره، فأخذهما سِنَةُ الغفلة، واستيقظ لهما العدو، كما قيل(٣):

واستيقظوا وأراد الله [غفلتكم](٤) لينفذ القدر المحتوم في الأزل

إلا أن هذا الجواب يعترض عليه قوله ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾، فيقال: الماكر المخادع لا بد أن يكون فيما يمكر به ويكيد -من التناقض والباطل- ما يدل على مكره وكيده، ولا حاجة بنا إلى تصحيح كلام عدو الله، والاعتذار عنه، وإنما نعتذر عن الأب في كون ذلك راج عليه وولج سمعه، فهو لم يجزم لهما بأنهما إن أكلا منها صارا ملَكين، وإنما ردَّد الأمر بين أمرين: **أحدهما**: ممتنع، **والآخر**: ممكن، وهذا من أبلغ أنواع الكيد والمكر، ولهذا لما أطمعه في الأمر الممكن جزم له به، ولم يردده، فقال ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٠]، فلم يُدخل أداة الشك ههنا؛ كما أدخلها في قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ فتأمله.

ثم قال: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ فتضمن هذا الخبر أنواعا من التأكيد:

**أحدها**: تأكيده بالقسم.

**الثاني**: تأكيده بـ(إنَّ).

**الثالث**: تقديم المعمول على العامل إيذانا بالاختصاص، أي نصيحتي مختصة بكما، وفائدتها عائدة إليكما لا إلي.

---

(١) (٥٣/ب)

(٢) سقط قوله: [لهما] من (ش).

(٣) البيت من البسيط لابن الدهان الموصلي المتوفى سنة (٥٨١)هـ، في قصيدة يمدح بها الملك العادل نور الدين، كما في تاريخ دمشق (٨٢/٢٧)، وخريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء بلاد الشام) (٢٨٩/٩)، والروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (٤٠٠/١).

(٤) في الأصل و(ش) [غفلتهم]، والصواب ما أثبته من (ع) ومن كافة مصادر البيت، وليستقيم معنى البيت.

**الرابع**: [إتيانه](١) باسم الفاعل الدال على الثبوت واللزوم، دون الفعل الدال على التجدد(٢)، أي: النصح صفتي وسجيتي ليس أمراً عارضاً لي(٣).

**الخامس**: [إتيانه](٤) بلام التأكيد في جواب القسم(٥).

**السادس**: أنه صوّر نفسه لهما ناصحاً من جملة الناصحين، وكأنه قال لهما: الناصحون لكما(٦) في ذلك كثير، وأنا واحد منهم، كما تقول لمن تأمره(٧) بشيء: كل أحد معي على هذا، وأنا من جملة من يشير عليك به.

..... وكثّر فارتابت ولو شاء قلّلا(٨)

وورّث عدو الله هذا المكر لأوليائه وحزبه عند خداعهم للمؤمنين(٩)، كما كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا جاءوه: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [سورة المنافقون:١]، فأكّدوا خبرهم بالشهادة وبـ(إنَّ) وبلام التأكيد، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ

---

(١) في الأصل و(ش): [إثباته]، والصواب ما أثبته من (ع)، منعاً لتكرار الكلام، وهذا اللفظ استخدمه ابن القيم في كتبه، وانظر: التبيان في أقسام القرآن (١٢٢)، والصلاة وحكم تاركها (٥٩)، وزاد المعاد (٣٦٢/٥).

(٢) اسم الفاعل وسط بين الفعل والصفة المشبهة، فهو بالنسبة إلى الفعل المضارع يدل على الثبوت، وبالنسبة إلى الصفة المشبهة يدل على الحدوث، قال أبو حيان في البحر المحيط (٤٢٤/١): "فلذلك أتى باسم الفاعل لأنه يدل على الثبوت، ولم يأت بالفعل الذي هو دال على التجدد والتكرار"، وقال ابن هشام في أوضح المسالك (٢١٦/٣) -معرفا اسم الفاعل-: "ما دلّ على الحدث والحدوث"، وانظر: بدائع الفوائد (١٤٤/١)، وزاد المعاد (١٧٢/٥)، وشرح قطر الندى (٢٧٩)، ومعاني الأبنية في العربية (٤٧) للسامرائي.

(٣) في (ش): [إليّ].

(٤) في الأصل و(ش): [إثباته]، والصواب ما أثبته من (ع)، وهذا اللفظ استخدمه ابن القيم في كتبه، وانظر: التبيان في أقسام القرآن (١٢٢)، والصلاة وحكم تاركها (٥٩)، وزاد المعاد (٣٦٢/٥).

(٥) انظر: زاد المعاد (٣٦٢/٥).

(٦) في (ع): [لكم].

(٧) في (ش): [يأمر].

(٨) البيت من الطويل لمهيار الديلمي المتوفى سنة (٤٢٨)هـ، ضمن قصيدة يمدح بها ركن الدولة أبي طاهر بن بويه كما في ديوانه (١٩٤/٣)، وصدره: (سعى جهده لكن تجاوز حدَّه)، وفي (ع) ذكر صدر البيت بلفظ: [سعى نحوها حتى تجاوز حده].

(٩) في (ع): [المؤمنين].

﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [سورة التوبة:٥٦].

ثم قال/(١) تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ قال أبو عبيدة: "خذلهما وخلاهما، من تدلية الدلو، وهو إرسالها في البئر"(٢).

وذكر الأزهري لهذه اللفظة أصلين(٣):

**أحدهما**: قال: أصله الرجل العطشان يتدلى في البئر ليروى من الماء، فلا يجد فيها ماءً، فيكون قد تدلى فيها بالغرور، فوضعت التدلية موضع الإطماع فيما لا يجدي نفعا(٤)، يقال: دلاَّه إذا أطمعه، ومنه قول أبي جندب الهذلي(٥):

أَحُصٌّ(٦) فلا أجير ومن أُجرهُ(٧) فليس كمن تدلى بالغرور

---

(١) (٥٤/أ).

(٢) لم أقف عليه في مجاز القرآن، وانظره في: تفسير الثعلبي (٢٢٤/٤)، والتفسير البسيط للواحدي (رسالة دكتوراه غير منشورة بتحقيق: د/محمد الفايز) (٦٠٦/٢)، وابن القيم نقل هذا من الواحدي، بدليل متابعته له في كون الأزهري ذكر لهذه اللفظة أصلين، مع أنه ذكر ثلاثة، وبدليل متابعته في سبك عبارة الأزهري مع ذكره لها في موضعين من كتابه.

(٣) ذكر الأزهري ثلاثة لا اثنين، والذي لم يذكره ابن القيم هنا وهو ما نقله الأزهري عن الزجاج من أن المعنى دلاَّهما في المعصية بأن غرَّهما، وانظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٢٧/٢) للزجاج، ووافقه مقاتل (٣٨٦/١)، والطبري (١٤٢/٨)، والنحاس في معاني القرآن (٢١/٣)، والخطابي في غريب الحديث (٥٦٤/٢)، وابن أبي زمنين في تفسيره (١١٥/٢)، والثعلبي (٢٢٤/٤)، وابن عطية (٣٨٥/٢) وبيّن ارتباط هذا بالتدلي فقال في تفسيره: "ويشبه عندي أن يكون هذا استعارة من الرجل يدلي آخر من هوة بحبل قد أرم أو بسبب ضعيف يغتر به، فإذا تدلى به وتورك عليه انقطع به فهلك، فيُشبه الذي يغر بالكلام حتى يصدقه فيقع في مصيبة؛ بالذي يدلي في هوة بسبب ضعيف"، وانظر كذلك تفسير الخازن (٢١٧/٢).

(٤) انظر: لسان العرب (٢٦٦/١٤)، وقد أخرج ابن أبي حاتم (١٤٥١/٥) نحوه عن محمد بن كعب قال: "منَّاهما بغرور".

(٥) أبو جندب بن مرة القرديّ الهذلي، شاعر جاهلي، أخٌ لأبي خراش الهذلي الشاعر المشهور، وكان قومه يلقبونه بالمشؤوم، كان له تسعه من الإخوة كلهم من الشعراء الدهاة، وجاء في وصفه أنه أشد إخوته غضبا [انظر: الأغاني (٢٢٨/١٠-٢٣٠)، وشرح أشعار الهذليين للسكري (٣٤٥/١)]، والبيت من الوافر في ديوان الهذليين منسوبا لأبي جندب (٩١/٣)، وفي وشرح أشعار الهذليين للسكري (٣٥٥/١).

(٦) في النسختين: [أخص]، وهو تصحيف.

(٧) في (ش): [أخبره]، وهو تصحيف.

أَحُصٌّ(١): أي أقطع(٢).

**الثـــاني:** ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ أي جرَّأهما على أكل الشجرة(٣)، وأصله: دلَّلهما، من الدَّلال(٤) والدَّالة وهي الجراءة(٥).

قال شمر(٦): يقال: ما دلَّك(٧) عليَّ، أي: ما جرَّأك عليَّ، وأنشد لقيس بن زهير(٨):

أظـــنُّ الحلـــمَ دلَّ علـــيَّ قـــومي وقـــد يُســـتجهلُ الرجـــلُ الحلـــيمُ

**قلت:** أصل التدلية في اللغة الإرسال والتعليق، يقال: دلَّى الشيء في مهواةٍ(٩) إذا أرسله بتعليق، وتدلى الشيء بنفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [سورة

---

(١) في النسختين: [أخص]، وهو تصحيف.

(٢) قال السكري في شرح أشعار الهذليين (٣٥٥/١): "(أحُصٌّ): أمتنع وآبى ذلك، و(أحُصٌّ):أقطع ذاك....أي لا أجير إلا من أمنع"، وانظر: لسان العرب (٢٦٦/١٤).

(٣) اختاره الواحدي في الوجيز (٣٨٩/١).

(٤) في (ع): [الدلالة]، وفي تهذيب اللغة: [الدَّالّ]، وكذا في البسيط للواحدي، وذكر محققه أنه وقع في نسخة أخرى للبسيط (الدلال) ووصفه بأنه تحريف، وليس كذلك بل هي كلمة صحيحة، ومنه دَّلال المرأة وهي جراءتها على زوجها، وانظر: العين (٨/٨)، والمحيط في اللغة (٢٥٩/٩)، واللسان (٢٤٧/١١).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (١٢١/١٤-١٢٢) بمعناه.

(٦) شمر بن حمدويه الهروي، أبو عمرو الخرساني، إمام اللغة، روى عن ابن الأعرابي والأصمعي والفراء وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري، وروى عنه أحمد بن محمود بن مقاتل، توفي سنة (٢٥٥)هـ [انظر: معجم الأدباء (٤١٠/٣)، وتاريخ الإسلام (١٦٦/١٩)، والبلغة (١١١)]، وقول شمر وما بهده انظره في تهذيب اللغة (٤٧/١٤).

(٧) في ع: [دللك].

(٨) قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة العبسي، فارسٌ شاعرٌ مخضرم، يكنى أبا هند، أحد سادات عبس، كان يلقب بـ(قيس الرأي) لرجحان عقله، وهو صاحب الحرب المشهورة في الجاهلية، وهي حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان [انظر: المعارف (٨٢)، والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء (٢٢١)، واللآلي في شرح أمالي القالي (٥٨٢/١)]، والبيت من الوافر لقيس بن زهير كما في العقد الفريد (١٣٥/٥)، والأمالي (٢٦٥/١)، والأغاني (٢٠٩/١٧) ضمن أبيات يرثي فيها حَمْلَ بن بدر، ومعنى قوله: دلَّ علي قومي، أي: جرَّأهم عليَّ.

(٩) في (ش): [هواة].

يوسف:١٩]، قال عامة أهل اللغة يقال: أدلى دلوه إذا أرسلها في البئر(١)، ودَلاَهَا بالتخفيف إذا نزعها من البئر(٢)، فأدلى دلوه يدليه(٣) إدلاء إذا أرسلها، ودَلاَهَا يدلوها دلواً(٤) إذا نزعها وأخرجها.

ومنه الإدلاء وهو التوصل إلى الرجل برحم منه، و[يشاركه](٥) في الاشتقاق الأكبر(٦): الدلالة؛ وهي: التوصل إلى الشيء بإبانته وكشفه(٧)، ومنه الدلُّ وهو: ما يدل على العبد من أفعاله، وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يُشبَّه برسول الله ﷺ في هديه ودلِّه وسَمْتِه(٨)، فالهدي: الطريقة التي عليها العبد من أخلاقه وأقواله وأعماله(٩)، والدلُّ: ما يدل من ظاهره

---

(١) انظر: العين (٦٩/٨)، وغريب الحديث (٨٠/٢) وتفسير غريب القرآن (٢١٤) كلاهما لابن قتيبة، ومعاني القرآن وإعرابه (٩٧/٣) للزجاج، والزاهر (٣٣٧/١) لأبي بكر الأنباري، وتهذيب اللغة (١٢١/١٤)، ومعجم مقاييس اللغة (٢٩٣/٢)، والمحكم (٤٢٧/٩)، وانظر: تفسير الطبري (١٦٧/١٢)، وقال بعضهم: أي انتزعها كما في جمهرة اللغة (٦٨٢/٢، ١٠٦١).

(٢) انظر: العين (٦٩/٨)، وتفسير غريب القرآن (٢١٤) لابن قتيبة، والزاهر (٣٣٧/١) لأبي بكر الأنباري، وتهذيب اللغة (١٢١/١٤)، وغريب الحديث (٢٤٤/٢) للخطابي، ومعجم مقاييس اللغة (٢٩٣/٢)، والمحكم (٤٢٦/٩).

(٣) في (ع): [تدليه و].

(٤) سقط قوله: [دلواً] من (ع).

(٥) في الأصل: [شاركة]، والصواب ما أثبته من النسختين، ليستقيم الكلام.

(٦) الاشتقاق الأكبر هو: أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد، وأما الأصفر فيكون بدون تقليب الحروف [انظر: الخصائص (١٣٤/٢)، والتفسير الكبير (٢٣/١)، والمثل السائر (٣٢١/٢)].

(٧) انظر: تهذيب اللغة (٤٨/١٤)، والمحكم (٢٧٠/٩)، ولسان العرب (٢٤٨/١١).

(٨) أخرجه من طريق إبراهيم عن علقمة ابنُ سعد في الطبقات (٨٦/٦)، وابن أبي شيبة برقم (٣٢٢٤٠)، والإمام أحمد في العلل برقم (٣٦٤٣)، والشيباني في الآحاد والمثاني برقم (٢٤١)، والحاكم في المستدرك برقم (٥٣٩٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥٨/٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩٨/٢٢)، قال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"،

(٩) انظر: الاشتقاق (٤٢٨)، والغريبين (١٩٢٢/٦) للهروي، وتفسير غريب ما في الصحيحين (٢١٥)، ولسان العرب (٢٢٥/١٣).

على باطنه(١)، والسمتُ: هيأته ووقاره ورزانته(٢).

**والمقصود**: ذكر كيد عدو الله ومكره بالأبوين.

قال مطرف بن عبد الله: "قال لهما إني خلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتبعاني أرشدكما، وحلف لهما، وإنما يُخدع المؤمن بالله"(٣).

قال قتادة: "وكان بعض أهل/(٤) العلم يقول: من خادعنا بالله خدعنا"(٥) فالمؤمن غِرٌّ كريم، والفاجر خِبٌّ لئيم، وفي الصحيح أن عيسى بن مريم عليه السلام رأى رجلا يسرق فقال: سرقت!(٦) فقال: لا والله الذي لا إله إلا هو، فقال المسيح: آمنت بالله وكذبت

---

(١) عرّفه الأزهري في تهذيب اللغة (٤٧/١٤) فقال: "حُسنُ الحديث وحُسنُ المزْح والهيئة"، وانظر: المحيط في اللغة (٢٥٩/٩)، والغريبين (١٩٢٢/٦) للهروي، ولم يفرق أبو عبيد في غريب الحديث (٣٨٤/٣) بين الهدي والدلّ، فقال: "فإن أحدهما قريب المعنى من الآخر، وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك"، وانظر: تهذيب اللغة (٤٧/١٤).

(٢) قال أبو عبيد في غريب الحديث (٣٨٤/٣): "فالسمتُ يكون في معنيين: **أحدهما**: حسن الهيئة والمنظر في مذهب الدين، وليس من الجمال والزينة، ولكن يكون له هيئة أهل الخير ومنظرهم، **وأما الوجه الآخر**: فإن السمت الطريق، يقال: الزم هذا السمت، كلاهما له معنى جيد، يكون أن يلزم طريقة أهل الإسلام، ويكون أن يكون له هيئة أهل الإسلام"، وانظر: العين (٢٤٠/٧)، جمهرة اللغة (٣٩٨/١)، وتهذيب اللغة (٢٧٠/١٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٥١/٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن مطرف، وأخرجه الطبري (١٤١/٨) عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة، وكذا نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤٣١/٣) إلى قتادة عند عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) (٥٤/ب).

(٥) هذا الأثر مروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كما أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٦٧/٤) بسنده عن نافع قال: "أن عبد الله بن عمر كان إذا رأى من رقيقه أمرا يعجبه أعتقه، فكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، قال نافع: فلقد رأيت بعض غلمانه ربما شمَّر ولزم المسجد؛ فإذا رآه على تلك الحال الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: والله يا أبا عبد الرحمن ما هم إلا يخدعونك، قال: فيقول عبد الله: من خدعنا بالله انخدعنا له"، كما أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٩٤/١)، وفي معرفة الصحابة برقم (٤٢٩٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣٣/٣١)، وقد نسبه لقتادة الطبري (١٤١/٨)، وابن أبي حاتم (١٤٥١/٥)، والثعلبي (٢٢٣/٤) وغيرهم.

(٦) قال ابن القيم في بدائع الفوائد (٧١٨/٣-٧١٩): "قيل: هو استفهام من المسيح لا إنه إخبار، والمعنى: أسرقت؟ فلّما حلف له صدَّقه، ويُردُّ هذا قوله: ((وكذبت بصري)) وقيل: لما رآه المسيح أخذ المال بصورة السارق فقال: سرقت! قال: كلا، أي: ليس بسرقة، إما لأنه ماله أو له فيه حق، أو لأنه أخذه ليقلبه ويعيده، والمسيح عليه السلام أحال على ظاهر ما رأى، فلمّا حلف له قال: ((آمنت بالله وكذبت نفسي)) في ظني أنها سرقة، لا

بصري"(١).

وقد تأوله بعضهم على أنه لما حلف له جوّز أن يكون قد أخذ ماله، فظنه المسيح سَرَقَه(٢)، وهكذا(٣) تَكَلَّف، وإنما كان الله سبحانه وتعالى في قلب المسيح أجلَّ وأعظمَّ من أن يحلف به أحد كاذبا، فلما حلف له السارق؛ دار الأمر بين تهمته وتهمة بصره، فرد التهمة إلى بصره لـمّا اجتهد له في اليمين بالله(٤)، كما ظن آدم صدق إبليس لما حلف له بالله، وقال: "ما ظننت أحداً يحلف بالله كاذبا"(٥).

---

أنه كذَّب نفسه في أخذه المال عيانا، فالتكذيب واقع على الظن لا على العيان، وهكذا الرواية: ((كذبت نفسي))، ولا تنافي بينها وبين رواية: ((وكذبت بصري)) لأن البصر ظن أن ذلك الأخذ سرقة، فأنا كذّبته في ظن أنه رأى سرقة، ولعله إنما رأى أخذا ليس بسرقة، وفي الحديث معنى ثالث: -ولعله أَلْيَقُ به- وهو أن المسيح عليه السلام لعظمة وقار الله في قلبه وجلاله ظن أن هذا الحالف بوحدانية الله تعالى صادقا، فحمله إيمانه بالله على تصديقه، وجوَّز أن يكون بصره قد كذبه، وأراه ما لم يرَ، فقال: ((آمنت بالله وكذبت بصري)) ولا ريب أن البصر يعرض له الغلط، ورؤية بعض الأشياء بخلاف ما هي عليه، ويُخيّل ما لا وجود له في الخارج، فإذا حكم عليه العقل تبين غلطه، والمسيح صلوات الله عليه وسلامه حكَّم إيمانه على بصره، ونسب الغلط إليه، والله أعلم".

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [سورة مريم:١٦] ح(٣٢٦٠)، ومسلم كتاب الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام ح(٢٣٦٨).

(٢) ذهب إليه ابن حزم حيث قال في المحلى (٤٢٨/٩): "وقد يخرج هذا الخبر على أنه رآه يسرق؛ أي: يأخذ الشيء مختفيا بأخذه، فلما قرّره حلف، وقد يكون صادقا لأنه أخذ ماله من ظالم له"، وكذا القاضي عياض في إكمال المعلم (٣٣٩/٧) حيث قال: "فلعله أخذ ما له فيه حق، أو بإذن صاحبه".

(٣) في النسختين: [وهذا].

(٤) وهو قول ابن الصلاح في فتاواه (٦٧) حيث قال: "كأنه ﷺ لما وحَّد السارق ربه تعالى؛ غمرته الهيبة والعظمة، حتى أنسته ما استيقنه حالة الإبصار، وبقي في صورة من يرى الشيء من بُعدٍ ولا يتحققه فإذا نوزع فيه كذَّب رؤيته"، وانظر: بدائع الفوائد (٧١٩/٣).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٢/٨)، وتاريخه (٨٣/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠٣/٧) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه ولفظه: "ولكن وعزتك ما حسبت أن أحدا يحلف بك كاذبا، قال: وهو قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [سورة الأعراف:٢١]"، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١٣١/١) إلى سفيان بن عيينة وعبد الرزاق وابن المنذر.

**ف**

ومن كيده العجيب: أنه يشام[١] النفس حتى يعلم أي القوتين يغلب عليها، قوة الإقدام والشجاعة، أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة[٢]، فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام؛ أخذ في تثبيطه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به، وثقَّله عليه، وهوّن[٣] عليه تركه، حتى يتركه جملة، أو يُقصّر فيه، ويتهاون به.

وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة؛ أخذ يقلل عنده المأمور، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة.

فيقصّر بالأول، ويتجاوز بالثاني، كما قال بعض السلف: "ما أمر الله سبحانه بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر"[٤].

وقد اقتطع أكثر الناس -إلا أقل القليل- في هذين الواديين: وادي التقصير، ووادي المجاوزة والتعدي، والقليل منهم جدا الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

فقوم قصَّر بهم عن الإتيان بواجبات الطهارة، وقوم تجاوز بهم إلى مجاوزة الحد بالوسواس.

وقوم قصَّر بهم عن إخراج[٥] الواجب من المال، وقوم تجاوز بهم حتى أخرجوا جميع ما

---

(١) أي يدخل، وسبق بيان كون الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

(٢) قال ابن القيم في عدة الصابرين (٨٩): "النفس لها قوتان: قوة الإقدام وقوة الإحجام، وهي دائما تتردد بين أحكام هاتين القوتين، فتقدم على ما تحبه، وتحجم عما تكرهه، والدين كله إقدام وإحجام، إقدام على طاعة، وإحجام عن معاصي الله، وكل منهما لا يمكن حصوله إلا بالصبر"، وانظر: عدة الصابرين (١٠).

(٣) في (ع): [يهون].

(٤) أخرجه الخطابي في العزلة (٩٧) عن عبيد الله بن عائشة، ولفظه: "ما أمر الله تعالى عباده بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: فإما إلى غلو، وإما إلى تقصير، فبأيهما ظفر قنع"، وهكذا نسبه ابن القيم له في كتابه الصلاة وحكم تاركها (٢٢٥)، وانظره منسوبا إلى بعض السلف في مدارج السالكين (١٠٨/٢)، وغير منسوب في مدارج السالكين (٤٩٦/٢)، والوابل الصيب (٢٦)، والروح (٢٥٧)، ووهم السخاوي في المقاصد الحسنة (٦١٦) فنسبه إلى عائشة رضي الله عنها.

(٥) في (ش): [الإخراج].

في أيديهم، وقعدوا كلاًّ على الناس، مستشرفين إلى ما بأيديهم.

وقوم قصَّر بهم عن تناول/(١) ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب واللباس؛ حتى أضروا بأبدانهم وقلوبهم، وقوم تجاوز بهم حتى أخذوا فوق الحاجة فأضروا بقلوبهم وأبدانهم.

وكذلك قصَّر بقوم في حق الأنبياء وورثتهم حتى قتلوهم(٢)، وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم(٣).

وقصَّر بقوم في خلطة الناس حتى اعتزلوهم في الطاعات، كالجمعة والجماعات والجهاد وتعلم العلم، وتجاوز بقوم حتى خالطوهم في الظلم والمعاصي والآثام.

وقصَّر بقوم حتى امتنعوا من ذبح عصفور أو شاة ليأكله، وتجاوز بآخرين حتى جرأهم على الدماء المعصومة.

وكذلك قصَّر بقوم حتى منعهم من الاشتغال بالعلم الذي ينفعهم، وتجاوز بآخرين حتى جعلوا العلم وحده هو غايتهم دون العمل به.

وقصَّر بقوم حتى أطعمهم من العشب ونبات البرية دون غذاء بني آدم، وتجاوز بآخرين حتى أطعمهم الحرام الخالص.

وقصَّر بقوم حتى زين لهم ترك سنة رسول الله ﷺ من النكاح؛ فرغبوا عنه بالكُلِّيّة، وتجاوز بآخرين حتى ارتكبوا ما وصلوا إليه من الحرام.

وقصَّر بقوم حتى جفوا الشيوخ من أهل الدين والصلاح، وأعرضوا عنهم، ولم يقوموا

---

(١) (٥٥/أ).

(٢) كاليهود كما قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة البقرة:٦١]، وقوله تعالى ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة:٨٧]، وقوله تعالى ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة:٩١].

(٣) كالنصارى كما قال تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة:٣١].

بحقهم، وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم مع الله(١).

وكذلك قصَّر بقوم حتى منعهم قبول أقوال أهل العلم والالتفات إليها بالكُلِّيّة، وتجاوز بآخرين حتى جعلوا الحلال ما حلّلوه، والحرام ما حرموه، وقدموا أقوالهم على سنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة.

وقصَّر بقوم حتى قالوا: إن الله سبحانه لا يقدر على أفعال عباده ولا شاءها(٢) منهم، ولكنهم يعملونها بدون مشيئته وقدرته(٣)، وتجاوز بآخرين حتى قالوا: إنهم لا يفعلون شيئا البتة، وإنما الله سبحانه هو فاعل تلك الأفعال حقيقة، فهي نفس فعله لا أفعالهم، والعبيد ليس لهم قدرة ولا فعل البتة(٤).

وقصَّر بقوم حتى قالوا: إن رب العالمين سبحانه ليس داخلاً في خلقه، ولا بائناً عنهم، ولا هو فوقهم، ولا تحتهم، ولا خلفهم، ولا أمامهم، ولا عن/(٥) أيمانهم، ولا عن شمائلهم(٦)، وتجاوز بآخرين حتى قالوا: هو في كل مكان بذاته(١)، كالهواء الذي هو داخل

---

(١) الغلو في الشيوخ في هذه الصورة هو غلو من خرج من الدين بالكُلِّيّة كغلاة النصيرية، والإسماعلية، والرافضة، والأحمدية والقادرية من الصوفية، وأتباع الشيخ عدي بن مسافر والشيخ سعد المديني بن حمويه [انظر: الفصل (٣٣/٢)، ومجموع الفتاوى (٧٠/١٩) (١٢٧/٢٧)، ومنهاج السنة (٤٧٧/٢، ٦٢٥)، وجامع الرسائل (٢٦٤/١)، ودرء التعارض (٢٨٥/٥)، وتلخيص الاستغاثة في الرد على البكري (٢٢٨/١)].

(٢) في (ع): [يشاءها].

(٣) كتب ناسخ الأصل: كالمعتزلة، وهو كما قال وانظر مذهبهم في: شرح الأصول الخمسة (٣٢٣-٣٢٤) والمختصر في أصول الدين (ضمن رسائل العدل والتوحيد) (٢٣٨)كلاهما للقاضي عبدالجبار المعتزلي.

(٤) كتب ناسخ الأصل: كالجبرية، وهو كما قال انظر: خلق أفعال العباد (١١٤) للبخاري، والملل والنحل (٨٥/١)، واعتقادات فرق المسلمين المشركين (٦٨) للرازي.

(٥) (٥٥/ب).

(٦) كتب ناسخ الأصل: "كل هذه النافيات صحيحة، إلا قوله: (ولا بائناً عنهم) لأنه بائنٌ عن خلقه"، وكتب أيضا: "في هذا الاعتقاد فساد، لأن فيه تهمة نسبة الجهة إليه تعالى عنها"، وهذا التعليق من الناسخ فيه أخطاء؛ **الأول**: أنه وصف هذه المنفيات بالصحة وفيها: (ولا هو فوقهم) والله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام:١٨]، ويقول سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة النحل:٥٠]، **الثاني**: أنه نزه الله تعالى عن الجهة مع كونها لفظ مجمل محتمل يتوقف في لفظه فلا يُثبت ولا يُنفى، ويسأل عن مراد المتكلم به، فإن أراد بنفي الجهة نفي كونه تعالى فوق العرش –

في كل مكان.

وقصَّر بقوم حتى قالوا: لم يتكلم الرب سبحانه بكلمة واحدة البتة(٢)، وتجاوز بآخرين حتى قالوا: لم يزل أزلاً وأبداً يقول(٣): ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [سورة ص:٧٥]، ويقول لموسى ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ [سورة طه:٢٤]؛ فلا يزال هذا الخطاب قائماً به ومسموعاً منه، كقيام صفة الحياة به(٤).

وقصَّر بقوم حتى قالوا: إن الله سبحانه لا يُشفِّع أحدا في أحدٍ البتة، ولا يرحم أحدا

---

كما تقول الجهمية- فهذا باطل يجب رده، ويجب إثبات كونه تعالى موصوفاً بالعلو، وبكونه سبحانه فوق عرشه، وإن أراد بنفي الجهة نفي إحاطة المخلوقات به سبحانه، أو كونه تعالى مفتقراً إليها فهذا حق يجب نفيه [انظر: مجموع الفتاوى (٤٢/٣)، والفتاوى الكبرى (٢٤/٥، ٣٢)، ومنهاج السنة (٣٢٤/٢)].

والمذهب الذي أشار إليه ابن القيم هو مذهب خاصة الجهمية ومعطلتهم ونفاتهم، كما في درء التعارض (١٤٨/٦، ١٥٤)، ومجموع الفتاوى (٢٨٩/٢)، وبيان تلبيس الجهمية (٥٥٥/١)، وشفاء العليل (١٥٩)، فرب العالمين عندهم في حكم الوهم والخيال والمعدوم الموجود في الأذهان لا في الأعيان بإجماع علماء السلف، والفطرة الضرورية تنقض هذا الاعتقاد، [انظر: درء التعارض (٣٠٦/٦)، وبيان تلبيس الجهمية (٣٠٧/١، ٣١٢) (١٠٤/٢، ١٥١، ٣٤٦)، ومجموع الفتاوى (٨٧/١٦)، ومنهاج السنة (١٤٩/٢)].

(١) هذا هو مذهب النجارية وحلولية الجهمية، وعوامهم وعبادهم وصوفيتهم قال شيخ الإسلام في درء التعارض (١٥٤/٦): "ولهذا كان العامة من الجهمية إنما يعتقدون أنه في كل مكان، وخاصتهم لا تظهر لعامتهم إلا هذا، لأن العقول تنفر عن التعطيل أعظم من نفرتها عن الحلول، وتنكر قول من يقول: إنه لا داخل العالم ولا خارجه أعظم مما تنكر أنه في كل مكان، فكان السلف يردُّون خير قوليهم وأقربهما إلى المعقول، وذلك مستلزم فساد القول الآخر بطريق الأولى"، [وانظر: درء التعارض (١٥٥/٦، ٣٠٠، ٣٠٥)، وبيان تلبيس الجهمية (٥٥٥/١)، ومجموع الفتاوى (٢٩٨/٢)].

(٢) هذا هو مذهب الجهمية والمعتزلة، وكل من قال بخلق القرآن فحقيقة قوله أنه تعالى لم يكلم ولا يتكلم، [انظر: الرد على الجهمية (١٥٨) للدرامي، ودرء التعارض (٣٠٤/٢)، ومجموع الفتاوى (٢٤٥/١٢)، وشرح الأصفهانية (٨٧)].

(٣) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [قائلاً].

(٤) هذا هو مذهب الكلابية، حيث قالوا: لم يزل الله متكلما بالقرآن، وأن كلامه صفة قائمة به، قديمة بقِدَمِه، ليست متعلقة بمشيئته وقدرته، كالعلم والقدرة والحياة، بناء على منعهم قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى، وقد وافق ابن كلاب على هذا السالمية والأشعرية [انظر: مقالات الإسلاميين (٥١٧، ٥٨٤)، ومجموع الفتاوى (٢٩٥/٦، ٣٠٠-٣٠١)، ودرء التعارض (١٨/٢)، ومجموع الفتاوى (٥٢٤/٦)].

بشفاعة أحدٍ(١)، وتجاوز بآخرين حتى زعموا أن المخلوق يشفع عنده بغير إذنه، كما يشفع ذو الجاه عند الملوك ونحوهم(٢).

وقصَّر بقوم حتى قالوا: إيمان أفسق الناس وأظلمهم كإيمان جبريل وميكائيل عليهم السلام -فضلا عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما-(٣)، وتجاوز بآخرين حتى أخرجوا من الإسلام بالكبيرة الواحدة(٤).

---

(١) قال بإنكار الشفاعة لأهل الكبائر من الموحدين كلٌّ من الخوارج والمعتزلة، وبعض الوعيدية أنكر الشفاعة مطلقا [انظر: التوحيد (٧٦٩/٢) لابن خزيمة، وإكمال المعلم (٥٦٥/١) للقاضي عياض، ومجموع الفتاوى (١١٦/١، ٣١٤) (٣٤١/٢٤) (٣٤١/٢٧)]، وانظر مذهب المعتزلة في: شرح الأصول الخمسة (٦٨٨، ٦٩٠)، ومتشابه القرآن (٩٠/١-٩١).

(٢) هذا هو مذهب النصارى، والمشركين، وطائفة من المنتسبين إلى العمل والعبادة ممن وقف عند الحقيقة الكونية القدرية لدفع الأمر والنهي الشرعيين، فقد أثبتوا لله تعالى شفعاء بغير إذنه، وتجلى هذا في الغلو في القبور وأصحابها، والاستشفاع بهم، قال تعالى في حق النصارى ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة:٣١]، وفي حديث عن عائشة رضي الله عنها عند البخاري ح(٤١٧) ومسلم ح(٥٢٨) أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي ﷺ فقال: ((إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة))، وقال تعالى في حق المشركين ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [سورة يونس:١٨]، وضلال هؤلاء أشد من ضلال منكري الشفاعة لوقوع هؤلاء في الشرك، وأما أولئك فقد وقعوا في بدعة من البدع المحدثة، وانظر: الجواب الصحيح (٤٦٢/٤)، ومجموع الفتاوى (١٤٩/١) (٢٨٣/٢٧-٢٨٤)، وجامع المسائل (٨٠/٢-٨٧).

(٣) هذا هو مذهب المرجئة [انظر: الشريعة (٦٨٧/٢) للآجري، والتنبيه والرد (٣٧) للملطي، وطبقات الحنابلة (ضمن رسالة الاصطخري عن الإمام أحمد) (٢٥/١)].

(٤) هذا هو مذهب الخوارج، وأما المعتزلة فقالوا هو في منزلة بين المنزلتين، فسلوبه اسم الإيمان، وسموه فاسقا [انظر: تعظيم قدر الصلاة (٦٢٤/٢)، والفرق بين الفرق (٥٦، ٩٧)، والفصل (٣٧/٤)]، وانظر في كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة (٦٩٧)، والمنية والأمل (١٣)، والكشاف (١٤٨/١).

وقصَّر بقوم حتى نفوا حقائق أسماء الرب سبحانه وتعالى وصفاته وعطّلوه منها(١)، وتجاوز بآخرين حتى شبهوه بخلقه ومثّلوه بهم(٢).

وقصَّر بقوم حتى عادوا [أهل](٣) بيت رسول الله ﷺ وقاتلوهم، واستحلُّوا من(٤) حرمتهم(٥)، وتجاوز بقوم حتى ادّعوا فيهم خصائص النبوة من العصمة وغيرها، وربما ادّعوا فيهم الإلهية(٦).

وكذلك قصَّر باليهود في المسيح؛ حتى كذبوه ورموه وأُمَّه بما [برأهما](٧) الله منه(٨)، وتجاوز بالنصارى حتى جعلوه ابن الله، وجعلوه إلها يعبد مع الله.

وقصَّر بقوم حتى نفوا الأسباب والقوى والطبائع والغرائز(٩)، وتجاوز بآخرين حتى

---

(١) هذا هو مذهب الجهمية ومن تبعهم في نفي الصفات دون الأسماء كالمعتزلة أو في نفي بعضها كالأشاعرة وغيرهم [انظر: الملل والنحل (٨٦/١)، والصفدية (١٠٣/١)، ومجموع الفتاوى (٧/٣-٨) (٥١/٦-٥٢) (٢٢٧/٨) (٣٤٨/١٤)].

(٢) أول من صرّح بالتشبيه هم البيانية من الرافضة، كما قال به أيضا من متقدمي الرافضة السبأية والمختارية والهشامية واليونسية، ومن غيرهم غلاة الصوفية والكرامية [انظر: مقالات الإسلاميين (٣١-٣٥)، والفرق بين الفرق (٢١٤-٢١٩)، والتبصير في الدين (١١٩-١٢٢)] وللتوسع انظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها للدكتور جابر إدريس أمير.

(٣) في الأصل: [لأهل]، والصواب ما أثبته من النسختين، ليستقيم الكلام.

(٤) سقط قوله: [مِنْ] من (ع).

(٥) هذا هو مذهب النواصب من الخوارج [انظر: مجموع الفتاوى (١٥٤/٣) (٤٦٨/٤)، ومنهاج السنة (٣٨٦/٤) (٤٦/٥)، والصواعق المرسلة (٩٥١/٣)].

(٦) هذا هو مذهب غالية الروافض [انظر: مقالات الإسلاميين (٥-١٦)، والتنبيه والرد (١٨)، والفصل (١٤٠/٤-١٤٢)، والملل والنحل (١٧٣/١-١٨٩)، ومجموع الفتاوى (٦٦/١) (٢٨٢/٢٦)، ومنهاج السنة النبوية (٤٧٤/١)]، قال شيخ الإسلام في منهاج السنة (٧١/٢): "فإن الروافض شر من النواصب، والذين تكفرهم أو تفسقهم الروافض هم أفضل من الذين تكفرهم أو تفسقهم النواصب".

(٧) في الأصل و(ش): [برأه]، والصواب ما أثبته من (ع)، ليستقيم الكلام.

(٨) ذلك أنهم اتهموا أمه مريم بالزنى، وقالوا أنه ولد زنى فكذبهم الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:١٥٦]، روى الطبري (١٢/٦) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "يعني أنهم رموها بالزنى".

(٩) هذا هو مذهب الجبرية من أتباع جهم ومن تبعهم من الأشعرية، والذين نفوا تأثير الأشياء، وقالوا: إن الأمور

جعلوها أمراً لازماً لا يمكن تغييره ولا تبديله، وربما جعلها بعضهم مستقلة بالتأثير(١).

وقصَّر بقوم حتى تعبدوا بالنجاسات -وهم النصارى وأشباههم-، وتجاوز بقوم حتى أفضى بهم الوسواس إلى الآصار والأغلال وهم أشباه اليهود(٢).

وقصَّر بقوم حتى تزينوا للناس وأظهروا لهم من الأعمال/(٣) والعبادات ما يحمدونهم عليه، وتجاوز بقوم حتى أظهروا لهم القبائح [و](٤) من الأعمال السيئة ما يُسقطون به جاههم عندهم، وسَمَّوا أنفسهم الملامتية(٥).

---

تقع عندها لا بها [انظر: منهاج السنة (٢/٣٠١)، ومجموع الفتاوى (١٦/٢٣٥)، وجامع الرسائل (١/٨٧)، ومفتاح دار السعادة (٢/٢٤٣)، ومدارج السالكين (١/٤١٥) (٣/٤٩٥)، والصواعق المرسلة (٤/١٥٥٠)]، وانظر معتقدهم في كتبهم كالإرشاد (٢٠١) للجويني، والمستصفى (٧٥) للغزالي، والغنية في أصول الدين (١٦٥)، وتفسير القرطبي (٢/٤٧).

(١) هذا المذهب نسبه شيخ الإسلام في الصفدية (١/١٥٥) ابن تيمية إلى بعض أهل الكلام، وقال ابن القيم في مدارج السالكين (٣/٤٠٢): "وأما الوقوف مع الأسباب واعتقاد تأثيرها؛ فلا نعلم من أتباع الرسل من قال إنها مستقلة بأنفسها حتى يحتاج إلى نفي هذا المذهب، وإنما قالت طائفة من الناس -وهم القدرية-: إن أفعال الحيوان خاصة غير مخلوقة لله، ولا واقعة بمشيئة، وهؤلاء هم الذين أطبق الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على ذمهم وتبديعهم وتضليلهم، وبيّن أئمة السنة أنهم أشباه المجوس، وأنهم مخالفون العقول والفطر ونصوص الوحي"، وانظر: [مجموع الفتاوى (٨/١٧٥)، وجامع المسائل (٦/٢١٠)، والصفدية (١/١٦٢)]، وأما الذين ذهبوا إلى كون الأسباب والقوى والغرائز أمرا لازما فهم الفلاسفة، نظرا لقولهم بأن فاعل العالم موجب بالذات، وأنه علة تامة مستلزمة لمعلولها [انظر: شرح الرازي لكتاب عيون الحكمة لابن سينا (٣/١٢٥-١٢٦)، والصفدية (١/١٥٥، ١٦٦)، ومنهاج السنة (٣/١٢-١٣)، ومجموع الفتاوى (٢/٣٥) (٨/١٦٧) (٢٠/١٨١)].

(٢) انظر: الجواب الصحيح (١/٦٩) (٢/١٣٥-١٣٦)، ومجموع الفتاوى (٢١/١٨-١٩)، وتخجيل من حرّف التوراة والإنجيل (٢/٥٩٤)، وهداية الحيارى (١٤٢)، وإغاثة اللهفان (٢/٢٧٠).

(٣) (٥٦/أ).

(٤) زيادة من النسختين، وليست في الأصل، وأثبتها ليستقيم الكلام.

(٥) في (ع): [وهم الملامتية]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [وسَمَّوا أنفسهم الملامتية] في حاشية (ع) كنسخة أخرى، والملامتية قوم من صوفية المشرق شيخهم أبو محمد عبد الله بن منازل، نشر هذا المذهب حمدون القصار، وكان بدايته في إخفاء الحسنات، وإظهار ما لا يُظن بصاحبه الصلاح، فيزعمون أنهم يحتملون ملام الناس لهم على ما يظهرونه من الأعمال، ليخلص لهم ما يبطنونه من الأحوال، ثم تطور الأمر بقوم منهم فدخلوا في أمور مكروهة في الشريعة، ثم زاد الأمر ففعل قوم المحرمات من الفواحش والمنكرات، وترك الفرائض والواجبات [انظر: الرسالة القشيرية (٤٩، ٧٣)، وإحياء علوم الدين (٣/٢٨٨)، وتلبيس إبليس (٣٢٠)،

وقصَّر بقوم حتى أهملوا أعمال القلوب و لم يلتفتوا إليها، وعدّوها فضلاً أو[١] فضولاً[٢]، وتجاوز بآخرين حتى قَصَروا نظرهم و[عملهم][٣] عليها، و لم يلتفتوا إلى كثير من أعمال الجوارح، وقالوا: العارف[٤] لا يُسْقِطُ وَارِدَهُ لوِرْدِهِ[٥].

---

ومجموع الفتاوى (١٦٤/٣٥)، ومدارج السالكين (٦٤/٢) (١٧٧/٣)].

(١) في (ش): [و].

(٢) إن كان مراد من أهمل أعمال القلوب أن الغاية من التكليف هي عمل الجوارح لا عمل القلب، فهذا باطل، وقد قرر ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١٧٨/١-١٧٩) وبدائع الفوائد (٧١٠/٣) بطلان هذا القول، لأن أعمال القلوب مقصودة ومرادة لذاتها، وأعمال الجوارح وسيلة مرادة لغيرها، وهو صلاح القلب وطهارته واستقامته وكماله وقيامه بالعبودية، وأعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وبها يميز المؤمن من المنافق، وذكر في بدائع الفوائد (٧١٠/٣) ارتباطَ أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأن عمل الجوارح إذا خلا من عمل القلب كان كالجسد الموات بلا روح، أو بمنزلة حركات العابثين، وغايته أن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب، **وفصل بين الفريقين** فقال: "والطائفتان متقابلتان أعظم تقابل؛ هؤلاء لا التفات لهم إلي عبودية جوارحهم، ففسدت عبودية قلوبهم، وأولئك لا التفات لهم إلى عبودية قلوبهم، ففسدت عبودية جوارحهم، والمؤمنون العارفون بالله وبأمره قاموا له بحقيقة العبودية ظاهرا وباطنا، وقدّموا قلوبهم في الخدمة، وجعلوا الأعضاء تبعا لها، فأقاموا الملك وجنوده في خدمة المعبود، وهذا هو حقيقة العبودية" وانظر: مدارج السالكين (١٠١/١).

(٣) في الأصل و(ش): [وعلمهم] والصواب ما أثبته من (ع)، ليشمل الكلام العلم والعمل

(٤) العارف مصطلح يُطلق كثيرا عند الصوفية، وقد اختلفوا في حد العارف وحد المعرفة، فقال القشيري في رسالته (٣٤٢): "المعرفة على لسان العلماء هو: العلم، فكل علم معرفة؛ وكل معرفة علم؛ وكل عالم بالله عارف؛ وكل عارف عالم، وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله تعالى في معاملاته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه، ودام بالقلب اعتكافه، فحظي من الله تعالى بجميل إقباله، وصدق الله في جميع أحواله، وانقطع عنه هواجس نفسه، و لم يصغ بقلبه إلى خاطرٍ يدعوه إلى غيره، فإذا صار من الخلق أجنبيا، ومن آفات نفسه بريا، ومن المساكنات والملاحظات نقيا، ودام في السر مع الله تعالى مناجاته، وحق في كل لحظة إليه رجوعه، وصار مُحدَّثا من قِبَلِ الحق سبحانه بتعريف أسراره، فيما يُجريه من تصاريف أقداره، يُسمى عند ذلك عارفا، وتسمى حالته معرفة، وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه، وقد تكلم المشايخ في المعرفة، فكلٌ نطق بما وقع له؛ وأشار إلى ما وجده في وقته"، ومن هؤلاء من أدخل في حد العارف الأباطيل، كقول ابن عربي بأنه من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء، وبعضهم يجعل المعرفة مرتبة من المراتب، ويجعلها دون الفناء [انظر: مجموع الفتاوى (١٢٤/٢) (١٩١/١٣)، والجواب الصحيح (٣٠٦/٤)، ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (١٢٤، ٢٦٣)، وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي (٥٩١-٥٩٧)].

(٥) في (ع): [لوروده]، و لم أقف على قائله، وقد ذكر ابن القيم الموقف الصحيح عند اجتماع الورد والوارد فقال

وهذا باب واسع جداً، لو تتبعناه لبلغ مبلغاً كثيراً، وإنما أشرنا إليه أدنى إشارة.

**ف**

ومن حيله ومكايده: الكلام الباطل، والآراء المتهافتة، والخيالات المتناقضة، التي هي زبالة الأذهان، و[نحالة](١) الأفكار، والزبد الذي تقذف به القلوب المظلمة المتحيرة، التي

---

في الفوائد (١٤٢-١٤٣): "وإذا عُرف هذا فالصادقون السائرون إلى الله والدار الآخرة قسمان: قسمٌ صرفوا ما فضل من أوقاتهم بعد الفرائض إلى النوافل البدنية وجعلوها دأبهم؛ من غير حرص منهم على تحقيق أعمال القلوب ومنازلها وأحكامها، وأن لم يكونوا خالين من أصلها، ولكن هممهم مصروفةٌ إلى الاستكثار من الأعمال، وقسمٌ صرفوا ما فضَلَ من الفرائض والسنن إلى الاهتمام بصلاح قلوبهم، وعكوفها على الله وحده، والجمعية عليه، وحفظ الخواطر والإرادات معه، وجعلوه قوة تعبُّدهم بأعمال القلوب من تصحيح المحبة والخوف والرجاء والتوكل والإنابة، ورأوا أن أيسر نصيب من الواردات التي تَرِدُ على قلوبهم من الله أحبّ إليهم من كثير من التطوعات البدنية؛ فإذا حصل لأحدهم جمعيةٌ ووارد أُنسٍ أو حبٍ أو اشتياقٍ أو انكسارٍ وذلٍّ؛ لم يستبدل به شيئاً سواه البتة؛ إلاَّ أن يجيء الأمر، فيبادر إليه بذلك الوارد -إن أمكنه-، وإلاَّ بادر إلى الأمر ولو ذهب الوارد؛ فإذا جاءت النوافل فههنا معترك التردد، فإن أمكن القيام إليها به فذاك، وإلا نظر في الأرجح والأحب إلى الله؛ هل هو القيام إلى تلك النافلة ولو ذهب وارده؛ كإغاثة الملهوف وإرشاد ضالٍّ وجبر مكسورٍ واستفادة إيمانٍ ونحو ذلك، فههنا ينبغي تقديم النافلة الراجحة، ومتى قدمها لله رغبة فيه وتقرباً إليه فإنه يرد عليه ما فات من وارده أقوى مما كان في وقت آخر، وإن كان الوارد أرجح من النافلة فالحزم له الاستمرار في وارده حتى يتوارى عنه؛ فإنه يفوت والنافلة لا تفوت، وهذا موضع يحتاج إلى فضل فقهٍ في الطريق ومراتب الأعمال وتقديم الأهمِّ منها فالأهمِّ، والله الموفق لذلك".

(١) في جميع النسخ: [نحاتة]، و لم أقف على هذه العبارة في كتب ابن القيم بهذا اللفظ: (نحاتة) إلا في هذا الكتاب، وجاءت هذه العبارة في كتب ابن القيم الأخرى بلفظ: (نخالة الأفكار)، كما في إعلام الموقعين (١/١٤٤)، واجتماع الجيوش الإسلامية (١٥)، والصواعق المرسلة (٢/٤٣٣)، وجاءت في أول هذا الكتاب بلفظ: (زبد الأفكار)، وفي مدارج السالكين (١/١٦٥) بلفظ: (وسخ الأفكار)، فالصواب في هذا الموضع أنها (نخالة الأفكار) لعدة اعتبارات: **أولا**: تشابه الكلمتين في الرسم فلعلها تصحفت إلى (نحاتة)، **ثانياً**: أن النخالة -كما عند القاضي عياض في مشارق الأنوار (٢/٦)- هي ما بقي من قشور الطعام بعد غربلته، فالنخالة مظنة الإلقاء والرمي، **ثالثاً**: أن العرب استعملت هذا التعبير على الذم، فقد جاء في صحيح مسلم ح(١٨٣٠) أن عائذ بن عمرو وكان من أصحاب رسول الله ﷺ دخل على عبيد الله بن زياد فقال: أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن شر الرعاء الحطمة)) فإياك أن تكون منهم، فقال له: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ، فقال: وهل كانت لهم نخالة! إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم، قال ابن الجوزي في كشف المشكل (٢/٣١): "أي من رذالتهم، وهذه جرأة قبيحة من ذلك الفاسق على أقوام قد عمّهم الله بالشهادة لهم بالخير"، وقال النووي في شرح مسلم (١٢/٢١٦): "يعني لست من فضلائهم وعلمائهم وأهل المراتب منهم، بل من

تعدل الحق بالباطل، والخطأ بالصواب، قد تقاذفت بها أمواج الشبهات، ورانت عليها غيوم الخيالات، فمركبها القيل والقال، والشك والتشكيك، وكثرة الجدال، ليس لها حاصل من اليقين يُعوّل(١) عليه، ولا معتقد مطابق للحق يُرجع(٢) إليه ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [سورة الأنعام:١١٢]، فقد اتخذوا لذلك(٣) القرآن مهجوراً، وقالوا من عند أنفسهم؛ فقالوا منكراً من القول وزورا، فهم في شكهم يعمهون، وفي حيرتهم يترددون، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تمليه(٤) الشياطين على ألسنة أسلافهم من أهل الضلال، فهم إليه محاكمون(٥)، وبه يخاصمون(٦)، فارقوا الدليل؛ واتبعوا ﴿أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة:٧٧].

**ف**

ومن كيده بهم وتحيله على إخراجهم من العلم والدين: أن ألقى على ألسنتهم أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تفيد اليقين(٧)، وأوحى إليهم أن القواطع العقلية والبراهين اليقينية في المناهج الفلسفية والطرق الكلامية، فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن، وأحالهم على منطق اليونان(٨)/(١)، وعلى ما عندهم من الدعاوى الكاذبة

---

سَقطهم، والنخالة هنا استعارة من نخالة الدقيق وهي قشورة، والنخالة والحقالة والحثالة بمعنى واحد"، وأما النُّحاتة فهي اسم لما سقط من المنحوت [انظر: ومعجم مقاييس اللغة (٤٠٤/٥)، والمحكم (٢٧٤/٣)، ولسان العرب (٧٠/١٤)]، وليس في هذا اللفظ ذم، خاصةً إذا كان المنحوت ثميناً، ومعلوم أن كدُّ الذهن والفكر ونحته أمر ممدوح لا مذموم.

(١) في (ع): [تعول].

(٢) في (ع): [ترجع].

(٣) في النسختين: [لأجل ذلك].

(٤) في (ش): [تتلوا]، وفي (ع): [تلته].

(٥) في النسختين: [يتحاكمون].

(٦) في النسختين: [يتخاصمون].

(٧) سبق الكلام على هذه الشبهة في الباب التاسع.

(٨) يُعرِّفُ المناطقة علمَ المنطق بأنه: آلة تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ والزلل، وهذا العلم يُنسب لرجل من

العرية عن البرهان، وقال لهم: تلك علوم قديمة [صقلتها](٢) العقول والأذهان، ومرت عليها القرون والأزمان(٣)، فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الإيمان والدين، كإخراج الشعرة من العجين.

**ف**

ومن كيده: ما ألقاه إلى جهال المتصوفة من الشَّطْح(٤) والطامَّات(٥)، وأبرزه لهم في

---

اليونان هو أرسطو، ولهذا سُمي بالمعلم الأول، وموضوع المنطق هو المعقولات الثابتة، من حيث يتوصل بها إلى علم ما لم يعلم، فانه ينظر في أحوال المعقولات الثابتة وهي النسب الثابتة للماهيات، من حيث هي مطلقة، عرض لها إن كانت موصولة إلى تحصيل ما ليس بحاصل، أو معينة في ذلك لا على وجه جزئي بل على قانون كلي، وقد قرر شيخ الإسلام أنه هذا العلم لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد، وقال: "ولكن كنت أحسب أن قضاياه صادقة لما رأينا من صدق كثير منها، ثم تبين لي فيما بعد خطأ طائفة من قضاياه" [انظر: طبقات الفقهاء الشافعية (٢٥٤/١) لابن الصلاح، ودرء التعارض (٢١٨/١)، ومجموع الفتاوى (١/٩، ١٧١، ١٩٤، ٢٤١، ٢٤٦)].

(١) (٥٦/ب).

(٢) في الأصل: [صقلها]، والصواب ما أثبته من النسختين، لأن الفاعل جمع لا مفرد، وكذا في الصواعق المرسلة (١١٨٣/٣) ومفتاح دار السعادة (٢١١/٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٩٤/٩).

(٣) ذكر ابن القيم هذه الشبهة في الصواعق المرسلة (١١٨٣/٣) ومفتاح دار السعادة (٢١١/٢)، وذكرها قبلها شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٩٤/٩) وأجاب عنها من أربعة أوجة، **الأول**: أنه ما زال العقلاء -الذين هم أفضل من هؤلاء- ينكرون عليهم، ويبينون خطأهم وضلالهم، **الثاني**: أن هذا ليس بحجة، فإن الفلسفة التي كانت قبل أرسطو وتلقاها من قبلة بالقبول طعن أرسطو في كثير منها وبين خطأهم، وابن سينا وأتباعه خالفوا القدماء في طائفة من أقاويلهم المنطقية وغيرها، وبينوا خطأهم، وردُّ الفلاسفة بعضهم على بعض كثير جداً، **الثالث**: أن دين عباد الأصنام أقدم من فلسفتهم، وقد دخل فيه من الطوائف أعظم ممن دخل في فلسفتهم، وكذلك دين اليهود المبدل أقدم من فلسفة أرسطو، ودين النصارى المبدل قريب من زمن أرسطو، **الرابع**: أن هذه العلوم عقلية محضة، ليس فيها تقليد لقائل، وإنما تعلم بمجرد العقل، فلا يجوز أن تصحح بالنقل، بل ولا يتكلم فيها إلا بالمعقول المجرد، فإذا دل المعقول الصريح على بطلان الباطل منها لم يجز رده؛ فإن أهلها لم يدّعوا أنها مأخوذة عمن يجب تصديقه، بل عن عقل محض، فيجب التحاكم فيها إلى موجب العقل الصريح.

(٤) سبق التعريف بها في الباب السابع.

(٥) معناها قريب من الشطح، لكن قال الغزالي في الإحياء (٣٧/١):"وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح، وأمر آخر يخصها؛ وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة، كدأب الباطنية في التأويلات"، وانظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي (٥٧١).

قالب الكشف(١) من الخيالات، فأوقعهم في أنواع(٢) الأباطيل والتُّرَّهات، وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات، وأوحى إليهم: أن وراء العلم طريقاً إن سلكوه أفضى بهم إلى كشف العيان، وأغناهم عن التقيُّد(٣) بالسنة والقرآن، فحسَّن لهم رياضة النفوس وتهذيبها، وتصفية الأخلاق، والتجافي عما عليه أهل الدنيا، وأهل الرياسة والفقهاء، وأرباب العلوم، والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شيء، حتى ينتقش فيه الحق بلا واسطة [تُعَلِّم](٤)، فلما خلا من صورة العلم الذي جاء به الرسول؛ نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعدّ له من أنواع الباطل، وخيّله(٥) للنفس حتى جعله كالشاهد كشفاً وعياناً، فإذا أنكره عليهم ورثة الرسل قالوا: لكم العلم الظاهر، ولنا الكشف الباطن(٦)، ولكم ظاهر الشريعة، وعندنا باطن الحقيقة، ولكم القشور، ولنا اللباب، فلما تمكن هذا من قلوبهم؛ سلخها من الكتاب والسنة

---

(١) الكشف عند الصوفية هو رفع الحجاب فيرى الواحد منهم الحقائق مكاشفة لا بعين البصر، وعرّفه الطوسي في اللمع (٤٢٢) فقال: "بيان ما يستتر على الفهم، فيُكشف عنه للعبد كأنه رأي عين"، والكشف يحصل عندهم نتيجة لرياضة النفس، ويعتبر الكشف من مصادر التلقي عندهم، بل بعضهم يُقدمه على الشرع والعقل، وما يدعونه من الكشف والمشاهدة عامته خيالات في أنفسهم، ويسمونه حقيقة، وبعضهم يُقدّس الكشف حتى أنه يمنع وقوع التأويل فيه ولو ثبت به ما يخالف صريح العقل، والحق أن الكشف إن لم يكن مما يستعان به على دين الله والإيمان به كان من الشيطان، وكذا إذا خالف الكتاب والسنة، وقد يحصل ذلك للكفار، وإن لم يحصل لأهل الإيمان [انظر: مجموع الفتاوى (٢/٥٨، ٣١١) (١١/٢٤٣، ٣١٩-٣٢١)، والرد على المنطقيين (٤٨٩)، ومعجم ألفاظ الصوفية (٢٤٢)، وللتوسع انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية (٢٠٦-٥٣٤)].

(٢) في (ع) زيادة: [من].

(٣) في (ش): [التقييد]، وفي (ع): [التقليد].

(٤) في الأصل [بعلم]، والصواب ما أثبته من النسختين ليستقيم الكلام.

(٥) في (ع): [وخليه].

(٦) قال ابن الجوزي في تلبيس إبليس (٣٩٠): "وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر، وسموا هواجس النفوس العلم الباطن" ثم ذكر استدلالهم ورد عليه، وقال: "فأما أن يترك العلم ويقول: إنه يعتمد على الإلهام والخواطر؛ فليس هذا بشيء، إذ لولا العلم النقلي ما عرفنا ما يقع في النفس؛ أمن الإلهام للخير أو الوسوسة من الشيطان، واعلم أن العلم الإلهامي الملقى في القلوب لا يكفي عن العلم المنقول، كما أن العلوم العقلية لا تكفي عن العلوم الشرعية"، وانظر: مجموع الفتاوى (١٣/٢٣٢-٢٤٨) (٣٥/١٣٢-١٤٤)، وسيأتي كلام المؤلف عن هواجسهم.

والآثار كما ينسلخ[١] الليل من النهار، ثم أحالهم في سلوكهم على تلك الخيالات، وأوهمهم أنها من الآيات البينات، وأنها من قِبَل الله سبحانه إلهامات وتعريفات، فلا تُعْرَضُ على السنة والقرآن، ولا تُعامل[٢] إلا بالقبول والإذعان، فلغير الله لا له -سبحانه- ما يفتحه عليهم الشيطان من الخيالات والشطحات وأنواع الهذيان، وكلما ازدادوا بعدا وإعراضا عن القرآن وما جاء به الرسول؛ كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم.

**ف**

ومن أنواع مكايده ومكره: أنه يدعو العبد/[٣] بحسن خلقه وطلاقته وبشره إلى أنواع من الآثام والفجور، فيلقاه[٤] من لا يُخلِّصُه من شره إلا تَجَهُّمُه والتعبيس في وجهه والإعراض عنه، فيُحسِّن له العدوُّ[٥] أن يلقاه ببشره، وطلاقة وجهه، وحسن كلامه، فَيَعْلَقُ[٦] به، فيروم التخلص منه فيعجز، فلا يزال العدوُّ يسعى بينهما حتى يصيب حاجته، فَيَدْخُل[٧] على العبد بكيده من باب حسن الخلق وطلاقة الوجه.

ومن ههنا وصى أطباء القلوب بالإعراض عن أهل البدع، وأن لا يُسلّم عليهم، ولا يريهم طلاقة وجهه، ولا يلقاهم إلا بالعبوس والإعراض[٨].

وكذلك أوصوا عند لقاء من يخاف الفتنة بلقائه من النساء والمردان، وقالوا: متى

---

(١) في النسختين: [يسلخ].

(٢) في (ش): [يعامل].

(٣) (٥٧/أ).

(٤) في (ش): [فتلقاه].

(٥) في (ش): [العذر].

(٦) في (ش): [فتعلق]، وفي (ع): [فيتعلق].

(٧) في النسختين: [فدخل].

(٨) هذه مسألة هجر المبتدعة، وهي مسألة دلَّ عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وللتوسع في المسألة انظر: الزجر بالهجر للسيوطي، وهجر المبتدع للشيخ بكر أبو زيد، وموقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع للدكتور إبراهيم الرحيلي، وموقف أهل السنة من البدع والمبتدعة للدكتور عبدالرحمن عبد الخالق، وإجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء.

كشفت للمرأة أو الصبي[١] عن بياض أسنانك؛ كشفا لك عما هنالك، ومتى لقيتهما[٢] بوجه عابس وقيت شرهما[٣].

ومن مكايده: أنه يأمرك أن تلقى المساكين وذوي الحاجات بوجه عبوس؛ ولا [تُريهم][٤] بِشْراً ولا طلاقة؛ فيطمعوا فيك، ويتجرَّأوا عليك، وتسقط هيبتك من قلوبهم، فيَحْرِمَك صالح أدعيتهم، وميل قلوبهم إليك، ومحبتهم لك، فيأمرك بسوء الخلق، ومنع البِشْر والطلاقة مع هؤلاء، وبحسن الخلق والبِشْر مع أولئك، ليفتح لك باب الشر، ويغلق عنك باب الخير.

**ف**

ومن مكايده أنه يأمرك بإعزاز نفسك وصَوْنها حيث يكون رضى الرب تعالى في إذلالها وابتذالها، كجهاد الكفار والمنافقين، وأمر الفجار والظلمة بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فيُخيِّل إليك أن ذلك تعريض لنفسك إلى مواطن الذل، وتسليط الأعداء، و[طعنهم][٥] فيك، فيزول جاهك؛ فلا يُقبل منك بعد ذلك، ولا يُسمع منك.

ويأمرك بإذلالها وامتهانها[٦] حيث يكون مصلحتها في إعزازها وصيانتها، كما يأمرك بالتبذل[٧] لذوي الرياسات، وإهانة نفسك لهم، ويُخيِّل إليك أنك تُعزُّها بهم، وترفع قدرها بالذل لهم، ويذكرك قول الشاعر[٨]:

---

(١) في (ع): [للصبي].

(٢) في (ش): [ومن لقيهما].

(٣) هذا من أمثال العامة، يقولون: "لا تري الصبي بياض أسنانك فيريك سواد آسته"، وانظر: البصائر والذخائر (٥٥/٩) لأبي حيان التوحيدي، ونثر الدرر في المحاضرات (٣٢٦/٦) للآبي، والتمثيل والمحاضرة (٢٢٠) للثعالبي، ومجمع الأمثال (٢٥٨/٢).

(٤) في الأصل: [يريهم]، والصواب ما أثبته من النسختين لدلالة السياق.

(٥) في الأصل: [وطغيهم]، والصواب ما أثبته من النسختين ليستقيم الكلام.

(٦) في (ع): [وإهانتها].

(٧) في (ش): [بالذل]، وفي (ع): [بالتذلل]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [بالتبذل] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٨) البيت من الطويل نُسب للإمام الشافعي كما في مسند الشافعي (٣٧٥)، وحلية الأولياء (١٤٨/٩)، والمدخل إلى السنن الكبرى (٣٧٦) والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٣٤٩/١) وتاريخ بغداد (٣٠٢/١٤)

أهـينُ لهـم نفسـي وأرفعهـا[١] بهـم ولـن تُكْـرَمَ الـنفسُ الـتي لا تُهينُهـا[٢]

وغلط هذا القائل؛ فإن ذلك[٣] لا يَصْلُح إلا لله وحده؛ فإنه كلما أهان العبد نفسه له أكرمه/[٤] وأعزّه، بخلاف المخلوق، فإنك كلما أهنت نفسك له؛ ذللت عند الله وعند أوليائه، وهُنْتَ عليه.

**ف**

ومن كيده وخداعه: أنه يأمر الرجل بانقطاعه في مسجد، أو رباط[٥]، أو زاوية[١]، أو

---

وغيرها من رواية الربيع بن سليمان أنه قال: "فإني لم أزل الشافعي رضي الله عنه يكثر أن يتمثل بهذا البيت"، كما نسبه للشافعي -بدون ذكر الرواية- ابن النديم في الفهرست (٢٩٨)، والأصفهاني في محاضرات الأدباء (٣٦٩/١)، وقصة ذلك ما ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله عن الربيع بن سليمان قال: "كان الشافعي رحمه الله يُملي علينا في صحن المسجد؛ فلحقته الشمس؛ فمر به بعض إخوانه فقال: يا أبا عبد الله في الشمس!، فأنشأ الشافعي يقول البيت"، كما نُسب البيت في البيان والتبيين (٣٠٩) لأعرابيٍ حُجب عن باب السلطان فقال البيت، ونُسب في العقد الفريد (٧٣/١) للحسن بن عبد الحميد، وقصته أنه رآه رجل يزاحم الناس عند باب محمد بن سليمان فقال له: أمثلك يرضى بهذا؟، فقال البيت، وفي أخبار القضاة (١١٨/٢)، والتذكرة الحمدونية (١٦٢/٧) أن البيت لعبيد الله بن الحسن القاضي، وقصة الشافعي رحمه الله التي ذكرها ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله؛ حينما جلس في الشمس أثناء الإملاء هي من باب إهانة النفس لله تعالى لا للمخلوق؛ لأنه كان يُعلِّم العلم الشرعي الذي يُبتغى به وجه الله تعالى والدار الآخرة، وما حصل للشافعي رحمه الله من رفع لذكره؛ وإتباع كثير من المسلمين لمذهبه وأقواله؛ لدليل بيّن على أن الله تعالى أكرمه وأعزّه، وأما الآخرين الذين قالوا البيت عند أبواب السلاطين فينطبق عليهم كلام ابن القيم.

(١) في النسختين: [لأرفعها].

(٢) في (ش): [يهينها].

(٣) في (ع): [هذا]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [ذلك] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٤) (٥٧/ب).

(٥) الرباط في اللغة: لزوم المكان، وتطلق في الأصل على البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة الثغور، ثم أطلقت في العصر العباسي على الأبنية التي تكون سبيلا لطائفة معينة، كالمساكين أو المسافرين أو طلاب العلم ونحوهم، ويستخدمونها للأعمال الصالحة والعبادة، وقد انتشرت هذه الرباطات عند الصوفية، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه في وزراة نظام الملك وُقفت على تلك الرباطات أوقاف تجري على أهلها، وهذا ما جعل العلماء وطلاب العلم يقيمون بها، وقد يكون بداخل الرباط مسجد [انظر: لسان العرب (٣٠٤/٧)، ومجموع الفتاوى (٤١/٣٥)، والدارس في تاريخ المدارس (١٥٢/٢)، والمدارس الوقفية في المدينة المنورة دراسة تاريخية وصفية (١٠١) بحث مقدم لمؤتمر الوقف الأول في المملكة العربية السعودية الذي نظمته جامعة أم القرى].

تُربة(٢)، ويحبسه هنالك(٣)، وينهاه عن الخروج، ويقول له: متى خرجت تبذَّلت للناس، وسقطت من أعينهم، وذهبت هيبتك من قلوبهم، وربما ترى في طريقك منكرا.

وللعدو في ذلك مقاصد خفية يريدها منه؛ منها: الكبر، واحتقار الناس، وحفظ الناموس، وقيام الرياسة، ومخالطة الناس [تُذْهِب](٤) ذلك، وهو يريد أن يزار ولا يزور، ويقصده(٥) الناس ولا يقصدهم، ويفرح بمجيء الأمراء إليه، واجتماع الناس عنده، وتقبيل يده، فيترك من الواجبات والمستحبات والقُرُبات ما يقرِّبه إلى الله، ويتعوض عنه بما يقرب الناس إليه.

وقد كان رسول الله ﷺ يخرج إلى السوق، قال بعض الحفاظ: وكان يشتري حاجته ويحملها بنفسه(٦)، ذكره أبو الفرج ابن الجوزي(١) وغيره(٢).

---

(١) الزاوية مصطلح عند الصوفية معناه المكان المعد للعبادة والذكر والتعلم، أو المسجد الصغير والمصلى، وقد تُسمى أيضا خانقاه وتكية، وإن كانت أصغر من الخانقاه، وظهرت الزوايا بعد الرباطات، بل إنها أحيانا تكون بداخل الرباطات، وقد تكون في زواية بداخل المسجد، أو على الطريق، وفي الأماكن الخالية [انظر: عجائب الآثار (٤٣٥/٣)، وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي (٣٧٩)، والزواية الدلائية ودورها في الديني والعلمي والسياسي (٢٣-٢٥)، والمدارس الوقفية في المدينة المنورة دراسة تاريخية وصفية (١٠١) بحث مقدم لمؤتمر الوقف الأول في المملكة العربية السعودية الذي نظمته جامعة أم القرى].

(٢) في (ش): [برية]، والتربة هي موضع الدفن أو الضريح، سواء بناها الرجل ليدفن فيها بعد موته، أو بُني له بعد موته، وقد يُدفن معه غيره من أبناء وأصدقاء، وربما جُعل فيها مسجد أو رباط أو زاوية أو مدرسة أو دار للأيتام، فيكون فيها الصلاة والسكن وتعلم العلم، وربما أوقفت عليها الأوقاف التي ينفق منها على موظفين من ناظر وقارئ ومؤذن وإمام، وربما بُني المسجد بجوارها، وبعضها يُبنى على القبور أو في المقابر [انظر: الدارس في تاريخ المدارس (١٧٥/٢-٢٣٢)، وتكملة المعاجم العربية (٢٨/٢) لرينهارت دوزي].

(٣) في (ش): [هناك].

(٤) في الأصل: [يذهب]، والصواب ما أثبته من النسختين لدلالة السياق.

(٥) في (ش): [تقصده].

(٦) مدار هذا الحديث على عبد الرحمن بن زياد الأفريقي عن الأغر بن مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: دخلت يوما السوق مع رسول الله ﷺ؛ فجلس إلى البزارين فاشترى سراويلا بأربعة دراهم، وكان لأهل السوق وزان يزن، فقال له رسول الله ﷺ: ((اتزن وأرجح)) فقال الوزان: إن هذه لكلمة ما سمعتها من أحد، فقال أبو هريرة: فقلت له: كفى بك من الرهق والجفاء في دينك أن لا تعرف نبيك، فطرح الميزان، ووثب إلى يد رسول الله ﷺ يريد أن يقبلها، فحذف رسول الله ﷺ يده منه، فقال: ((ما هذا! إنما يفعل هذا الأعاجم بملوكها، ولست بملك، إنما أنا رجل منكم)) فوزن وأرجح، وأخذ رسول الله ﷺ السراويل، قال أبو هريرة: فذهبت لأحمله

وكان أبو بكر الصديق(٣) رضي الله عنه يخرج إلى السوق، يحمل الثياب، فيبيع ويشتري(١).

---

عنه، فقال: صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله إلا أن يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم، قال: قلت: يا رسول الله وإنك لتلبس السراويل؟ قال: ((أجل في السفر والحضر، وبالليل والنهار، فإني أمرت بالستر فلم أجد شيئا أستر منه)) وقد أخرج الحديث أبو يعلى في مسنده ح(٦١٦٢)، والعقيلي في الضعفاء (٤٥٣/٤)، وابن الأعرابي في معجمه ح(٢٣٣٦)، وابن حبان في المجروحين (٥١/٢)، والطبراني في الأوسط ح(٦٥٤٩)، والنهرواني في الجليس الصالح (١٦٤/٤)، والبيهقي في الشعب ح(٦٢٤٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠٥/٤)، وابن جرادة في بغية الطلب (٢٥٢٦/٦)، قال الطبراني في الأوسط: "لم يرو هذا الحديث عن أبي هريرة إلا الأغر، ولا عن الأغر إلا عبد الرحمن بن زياد"، وقال ابن الجوزي في كتاب الموضوعات (٢٤٤/٢): "هذا حديث لا يصح، قال الدارقطني: الحمل فيه على يوسف بن زياد–وهو الراوي عن الإفريقي– لأنه مشهور بالأباطيل، و لم يُحدث عن الأفريقي غيره، وقال ابن حبان: الأفريقي يروي الموضوعات عن الأثبات، وضعفه يحيى"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢/٥): "رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط، وفيه يوسف بن زياد البصري وهو ضعيف"، وقال السيوطي في اللآلىء المصنوعة (٢٢٣/٢): "لا يصح، قال الدارقطني في الأفراد: الحمل فيه على يوسف بن زياد، وهو مشهور بالأباطيل، و لم يروه عن الأفريقي غيره، وقال ابن حبان: الأفريقي يروي الموضوعات عن الإثبات"، وضعف إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفاء ح(٤٠٢٢) وابن حجر في فتح الباري (٢٧٢/١٠)، والسخاوي في المقاصد الحسنة (٤١٦)، والهيتمي في الفتاوى الحديثية (١١٦)، والمناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير (٨٧/٢)، قال الكناني في تنزيه الشريعة (٢٧٣/٢): "في الأوسط: ولا يصح فيه يوسف بن زياد عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقي و لم يروه عنه غيره (تُعُقِبَ) بأن يوسف لم ينفرد به فقد أخرجه البيهقي في الشعب والأدب من طريق حفص بن عبد الرحمن بن زياد"، وأيضا أخرجه ابن عساكر من طريق جعفر بن عبد الرحمن بن زياد عن الأغر، وحكم عليه الألباني بالوضع في السلسلة الضعيفة والموضوعة ح(٨٩).

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي القرشي الحنبلي، أبو الفرج البغدادي، ولد سنة (٥٠٨)هـ، برع في التفسير والفقه والحديث والتاريخ والوعظ، له (زاد المسير) و(المنتظم) و(صيد الخاطر)، توفي سنة (٥٩٧)هـ، جعله شيخ الإسلام في درء التعارض (٣٤/٧) من النوع الذين ليس لهم خبرة بالعقليات بل أخذوا ما قاله النفاة عن الحكم والدليل، واعتقدوها براهين قطعية، وليس لهم قوة على الاستقلال بها، وهم في الحقيقة مقلدون فيها، وقد اعتقدوا أقوال السلف، فجميع ما يسمعونه من القرآن والحديث وأقوال السلف لا يحملونه على ما يخالف ذلك، بل إما أن يظنوه موافقاً لهم، وإما أن يعرضوا عنه مفوضين لمعناه [انظر: تكملة الإكمال (٢٩١/٢، ٣٨٤)، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (٤١٣)، والكامل في التاريخ (٢٧٦/١٠)]، وانظر كلام ابن الجوزي في: تلبيس إبليس (١٩١)، وصيد الخاطر (٣٧٣)، كما ذكر الحديث في كتاب الموضوعات (٢٤٤/٢).

(٢) انظر: قوت القلوب (٣٨٨/٢) لأبي طالب المكي، وإحياء علوم الدين (٢٤١/٢).

(٣) سقط قوله: [الصديق] من النسختين، وأبو بكر الصديق هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب

ومر عبدالله بن سلام[٢] وعلى رأسه حزمة حطب، فقيل له: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله؟ فقال: أردت أن أدفع به[٣] الكبر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة من كبر))[٤].

---

التيمي القرشي، أبو بكر الصديق، صاحب رسول الله ﷺ، وأول الخلفاء الراشدين بعده، وأول من آمن برسول الله ﷺ وصدَّقه من الرجال، أحب الناس لرسول الله ﷺ من الرجال، ووالد أحب زوجاته إليه عائشة رضي الله عنها، أحد المبشرين بالجنة، ولد بمكة سنة (٥١) قبل الهجرة، بويع بالخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ سنة (١١)هـ، أعز الله به الإسلام في حروبه ضد المرتدين، وفي فتوح الشام وجزء كبير من العراق، توفي بالمدينة سنة (١٣)هـ [انظر: الطبقات الكبرى (١٦٩/٣)، والطبقات (١٧) لابن خياط، والتاريخ الكبير (١/٥)].

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٨٤/٣) بسنده عن عطاء بن السائب قال: "لما استخلف أبو بكر أصبح غاديا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق، قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً، فانطلق معهما، ففرضوا له كل يوم شطر شاة، وما كسوه في الرأس والبطن"، قال ابن حجر في فتح الباري (٣٠٥/٤): "رواه ابن سعد بإسناد مرسل رجاله ثقات"، وكذا قال العيني في عمدة القاري (١٨٥/١١)، وقال الألباني في الإرواء (٢٣٣/٨): "وهذا إسناد معضل ضعيف، عطاء بن السائب تابعي صغير وكان اختلط"، كما أخرج ابن سعد أيضا بسنده عن حميد بن هلال: "أن أبا بكر لما استخلف راح إلى السوق يحمل أبرادا له، وقال: لا تغروني من عيالي"، قال الألباني في الإرواء (٢٣٢/٨): "ورجاله ثقات رجال مسلم إلا أنه مرسل، حميد بن هلال لم يُدرك أبا بكر"، وأخرج البيهقي في السنن الكبرى برقم (١٢٧٨٧) عن الحسن البصري: -وفيه- "أن أبا بكر لما أصبح غدا إلى السوق، فقال له عمر رضي الله عنه: أين تريد؟ قال: السوق، قال: قد جاءك ما يشغلك عن السوق، قال: سبحان الله، يشغلني عن عيالي! قال: تفرض بالمعروف، قال: ويح عمر إني أخاف أن لا يسعني أن آكل من هذا المال شيئا، قال: فانفق في سنتين وبعض أخرى ثمانية آلاف درهم، فلما حضره الموت قال: قد كنت قلت لعمر إني أخاف أن لا يسعني أن آكل من هذا المال شيئا فغلبني؛ فإذا أنا مت فخذوا من مالي ثمانية آلاف درهم وردوها في بيت المال، قال: فلما أُتى بها عمر رضي الله عنه قال: رحم الله أبا بكر، لقد اتعب من بعده تعبا شديدا"، ونقل المؤلف القصة من ابن الجوزي في تلبيس إبليس (١٩١)، وفيه: "يحمل الثياب على كتفه".

(٢) عبد الله بن سلام بن الحارث، صحابي جليل أصله يهودي أسلم عند قدوم رسول الله ﷺ المدينة، كان اسمه الحصين فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، شهد مع عمر رضي الله عنه فتح بيت المقدس، اعتزل الفتنة، توفي بالمدينة سنة (٤٣)هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٣٥٢/٢)، والتاريخ الكبير (١٨/٥)، والكنى والأسماء (٩٢٠/٢) للإمام مسلم].

(٣) سقط قوله: [به] من (ع).

(٤) أخرجه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه -بدون ذكر القصة- مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ح(٩١)، ونقل المؤلف القصة من ابن الجوزي في تلبيس إبليس (١٩١)، وفيه: "والحديث بإسناد عن

وكان أبو هريرة ﷺ يحمل الحطب وغيره من حوائجه بنفسه، وهو أمير على المدينة، ويقول: "افسحوا لأميركم، افسحوا لأميركم"(١).

وخرج عمر بن الخطاب ﷺ يوماً -وهو خليفة- في حاجة له ماشياً(٢) فأعيا(٣)، فرأى غلاماً على حمار له، فقال: يا غلام احملني فقد أعييت، فنزل الغلام عن الدابة، وقال: اركبه(٤) يا أمير المؤمنين، فقال: لا، اركب أنت وأنا خلفك، فركب خلف الغلام، حتى دخل المدينة؛ والناس يرونه(٥).

---

محمد بن القاسم"، وهكذا أخرجه الإمام عبد الله بن أحمد في زوائده على الزهد (١٨٢)، والدولابي في الكنى والأسماء ح(١٥٣٨)، والحاكم في المستدرك ح(٥٧٥٧)، والبيهقي في الشعب ح(٨١٩٩)، والشجري في الأمالي (٣٠٢/٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣٢/٢٩-١٣٤) بسنده عن محمد بن القاسم قال: زعم عبدالله بن حنظلة قال: مرَّ عبدالله بن سلام في السوق وعلى رأسه حزمة من حطب، قال: فقال له ناس: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عنه؟ قال: أردت أن أدفع به الكبر، وذاك أني سمعت النبيﷺ يقول: ((لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة من كبر))، قال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه في ذكر عبد الله بن سلام"، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ح(٤٤١٧): "رواه الطبراني بإسناد حسن والأصبهاني إلا أنه قال مثقال ذرة من كبر"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٩/١): "رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن"، وحسنه أيضا الهيتمي في الزواجر (١٣١/١) والسفاريني في غذاء الألباب (١٧١/٢)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(٣٢٥٧)، وقال: "له شواهد كثيرة".

(١) الأثر جاء من رواية يزيد بن زياد القرظي عن ثعلبة بن أبي مالك القرظي: "أن أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير يا بن أبي مالك، فقلت: أصلحك الله، يكفي هذا، فقال: وسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك والحزمة عليه"، وقد أخرجه أبو داود في الزهد ح(٢٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣٨٥/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٢/٦٧)، وفي الرسالة القشيرية (١٨٥) وتاريخ ابن عساكر (٣٧٣/٦٧) عن أبي السراج الطوسي يقول: "رُئي أبو هريرة -وهو أمير المدينة- وعلى ظهره حزمة حطب، وهو يقول: طرقوا للأمير".

(٢) في (ش) زيادة: [حافياً].

(٣) في (ش): [عيي].

(٤) في النسختين: [اركب].

(٥) أخرجه عن الحسن البصري ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا برقم (٢٨٨)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم برقم (١٤٠١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١٩/٤٤)، ولفظه: عن الحسن قال: خرج عمر بن الخطاب ﷺ في يوم حار واضعا رداءه على رأسه، فمر به غلام على حمار، فقال: يا غلام احملني معك، قال: فوثب الغلام عن الحمار، وقال: اركب يا أمير المؤمنين، فقال: لا ، اركب وأركب أنا خلفك، تريد أن تحملني على المكان الوطيء؛ وتركب أنت على المكان الخشن، ولكن اركب أنت على المكان الوطيء؛ وأركب أنا خلفك على

**ف**

ومن كيده: أنه يُغري الناس بتقبيل يده، والتمسح به، والثناء عليه، وسؤاله الدعاء، ونحو ذلك، حتى يرى نفسه، ويعجبه شأنها، فلو قيل له: إنك من أوتاد[١] الأرض، وبك يدفع البلاء[٢]/[٣] عن الخلق؛ ظن ذلك حقاً، وربما قيل له: إنه يُتوسل به[٤] إلى الله، ويُسأل الله به وبحرمته، فتُقضى[٥] حاجتهم، فيقع ذلك في قلبه، ويفرح به[٦]، ويظنه حقاً، وذلك كل

---

المكان الخشن، فركب خلف الغلام، فدخل المدينة وهو خلفه، والناس ينظرون إليه.

(١) الأوتاد عند الصوفية عرّفهم ابن عربي في اصطلاحات الصوفية (٢٨٦) فقال: "فعبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب مع كل واحدٍ منهم مقام تلك الجهة"، وذكر في الفتوحات المكية (١/٢١٤-٢١٥) أنهم أخص من الأبدال، والإمامان أخص منهم، والقطب أخص الجميع، وهم خلاف بينهم هل الأوتاد داخلون في الأبدال أم أنهم متميزون عنهم، وقال: "ولكل واحد من هؤلاء الأوتاد روحانية إلهية وروحانية إلِّية، فمنهم من هو على قلب آدم، والآخر على قلب إبراهيم، والآخر على قلب عيسى، والآخر على قلب محمد عليهم السلام، فمنهم من تمده روحانية إسرافيل، وآخر روحانية ميكائيل، وآخر روحانية جبريل، وآخر روحانية عزرائيل، ولكل وتد ركن من أركان البيت، فالذي على قلب آدم عليه السلام له الركن الشامي، والذي على قلب إبراهيم له الركن العراقي، والذي على قلب عيسى عليه السلام له الركن اليمانيّ، والذي على قلب محمدﷺ له ركن الحجر الأسود.... واعلم أن هؤلاء الأوتاد يحوون على علوم جمة كثيرة، فالذي لابد لهم من العلم به، وبه يكونون أوتاداً، فما زاد من العلوم، فمنهم من له خمسة عشر علماً، ومنهم من له ولابد ثمانية عشر علماً، ومنهم من له أحد وعشرون علماً، ومنهم من له أربعة وعشرون علماً"، [وانظر: اصطلاحات الصوفية (٥٨) للقاشاني، ومعجم الصوفية (٢٧) للزوبي، وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي (١٢٢-١٢٣)] وبيّن شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١١/١٦٧، ٤٣٣) أن هذه أسماء مبتدعة لم ترد في الكتاب والسنة ولم ينطق بها سلف الأمة، وقال في (١١/٤٤٠): "فقد يوجد في كلام البعض أنه يقول: فلان من الأوتاد، يعني بذلك: أن الله تعالى يثبت به الإيمان والدين في قلوب من يهديهم الله به، كما يثبت الأرض بأوتادها، وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة من العلماء، فكل من حصل به تثبيت العلم والإيمان في جمهور الناس كان بمنزلة الأوتاد العظيمة والجبال الكبيرة، ومن كان بدونه كان بحسبه، وليس ذلك محصورا في أربعة ولا أقل ولا أكثر، بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة بقول المنجمين في أوتاد الأرض".

(٢) سقط قوله: [البلاء] من (ع).

(٣) (٥٨/أ).

(٤) في (ش): [بك].

(٥) في (ش): [فيقضي].

(٦) سقط قوله: [به] من (ع).

الهلاك.

فإذا رأى من أحد من الناس تجافياً عنه، أو قلة خضوع له؛ تذمر لذلك ووجد في باطنه، وهذا[١] شر من أرباب الكبائر المصرين عليها، وهم أقرب إلى السلامة منه.

**ف**

ومن كيده: أنه يُحسِّن إلى أرباب التخلي[٢] والزهد والرياضة[٣] العمل بهاجسهم[٤] [وواقعهم][٥] دون تحكيم أمر الشارع، ويقولون: القلب إذا كان محفوظا مع الله كانت هواجسه وخواطره معصومة من الخطأ، وهذا من أبلغ كيد العدو فيهم.

---

(١) في (ع): [هذا].

(٢) في (ش): [التجلي]، والتخلي عرّفه ابن عربي في اصطلاحات الصوفية (٢٩٠) فقال: "اختيار الخلوة والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق"، وانظر: معجم الصوفية (٧٨)، وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي (١٦٩)، ومعجم ألفاظ الصوفية (٧٥).

(٣) عرَّفها ابن عربي في اصطلاحات الصوفية (٢٩٠) فقال: "عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية"، وقال القاشاني في اصطلاحات الصوفية (٢٠١): "ترك الحظوظ، والاقتصار على الحقوق، مع تمرين الجوارح على موافقة حكم الشرع ومخالفة مقتضى الطبع"، وانظر: معجم الصوفية (١٩٣)، وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي (٤٣٠-٤٣١)، ومعجم ألفاظ الصوفية (١٦٣-١٦٤).

(٤) عرّفه ابن عربي في اصطلاحات الصوفية (٢٨٤) فقال: "الهاجس يعبرون به عن الخاطر الأول، وهو الخاطر الرباني، وهو لا يُخطئ أبداً، وقد يسميه سهل: السبب الأول ونقر الخاطر"، وعرّفه القاشاني في إصطلاحات الصوفية (٧٢) بأنه: "الخواطر النفسانية"، وانظر: معجم الصوفية (٤١٣) للزوبي، وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي (١٠٠٥).

(٥) في الأصل و(ع): [وأوقعهم]، والصواب ما أثبته من (ش)، ويشهد له كلام ابن عقيل الذي نقله شيخ الإسلام في درء التعارض (٨/٦١-٦٢) والمؤلف في الصواعق المرسلة (٤/١٣٤٢) حيث قال: "المتكلمون وقفوا النظر في الشرع بأدلة العقول فتفلسفوا، واعتمد الصوفية المتوهمة على واقعهم فتكهنوا"، وانظر: درء التعارض (٨/٦٥) والصواعق المرسلة (٤/١٣٤٥)، والواقع عند الصوفية هو: معنى يحصل في القلب ويبقى بخلاف الخاطر، وليس للطالب آلة لدفع تلك الحال، يقولون: خطر على قلبي، ووقع في قلبي، فالقلب هو وعاء الخواطر، وأما الواقع فلا يتحقق إلا على القلب، فيكون هو الفتح الإلهي على قلب العبد الصادق، وهو ما يرد على القلب من عالم الغيب بأي طريق كان من خطاب أو مثال [انظر: اصطلاحات الصوفية (٢٩٣) لابن عربي، واصطلاحات الصوفية (٧٣) للقاشاني، ومعجم الصوفية (٤٢٣) للزوبي، ومعجم ألفاظ الصوفية (٢٨١) للشرقاوي، وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي (١٠٢٣-١٠٢٤)].

فإن الخواطر والهواجس **ثلاثة أنواع**(١): رحمانية، وشيطانية، ونفسانية(٢)، كالرؤيا(٣)، فلو بلغ العبد من الزهد والعبادة ما بلغ؛ فمعه شيطانه ونفسه لا يفارقانه إلى الموت، والشيطان يجري منه(٤) مجرى الدم، والعصمة إنما هي للرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- الذين هم وسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده، ومن عداهم يصيب ويخطئ، وليس بحجة على الخلق.

وقد كان سيد المُحدَّثين المُلهمين عمر بن الخطاب ﷺ(٥) يقول الشيء، فيردُّه عليه من هو دونه، فيتبين له الخطأ، فيرجع إليه(٦)؛ وكان يعرض هواجسه وخواطره على الكتاب

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦١٣/١٠) (٦٣٥/١١)، والروح (٢٦١)، ومدارج السالكين (٥١/١).

(٢) الخواطر والهواجس الرحمانية تكون من باب كرامات أولياء الله تعالى من المؤمنين المتقين المتبعين للكتاب والسنة، فإن الفرق الذي لا يخطئ هو القرآن والسنة، فما وافق الكتاب والسنة فهو حق، وما خالف ذلك فهو باطل، ثم إن هناك علامات للخواطر والهواجس الرحمانية فهي التي تُعقب في القلب معرفة بالله، ومحبة له، وأنسا به، وطمأنينة بذكره، وسكونا إليه، وتقدما إلى الله تعالى والدار الآخرة، ثم إن القلب يستنير بها ويقوى، ولا بد أن يكون سببها ومصرفها في القربة والطاعة، وألا تتناقض ولا تتفاوت تلك الخواطر والهواجس، فلا بد أن يُصدّق بعضها بعضا، وكل ما لم تتحقق فيه هذه العلامات فهي من النفس والهوى والشيطان [انظر: مجموع الفتاوى (٤١٣/١٠) (٤٩٧/٢٧)، وطريق الهجرتين (٢٧٦)، ومدارج السالكين (٤٦٢/٢، ٤٧٦)].

(٣) دل على هذا ما أخرجه مسلم وغيره في كتاب الرؤيا ح(٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة، والرؤيا: ثلاثة، فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يُحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يُحدث بها الناس))، وانظر: مجموع الفتاوى (٦١٣/١٠) (٤٥٩/١٧)، ومدارج السالكين (٥١/١).

(٤) في (ع): [من ابن آدم].

(٥) دلَّ على كون عمر من المُحدثين ما رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﷺ ح(٣٤٨٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم باب من فضائل عمر ﷺ ح(٢٣٩٨) كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحدَّثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب))، قال ابن وهب: "تفسير مُحدَّثون مُلْهمون".

(٦) في (ع): [عنه]، ومن ذلك ما رواه البخاري في كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثا ح(٥٨٩١) ومسلم في كتاب الآداب باب الاستئذان ح(٢١٥٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما

والسنة، ولا يلتفت إليها، ولا يحكم بها، ولا يعمل بها.

وهؤلاء الجهال يرى أحدهم أدنى شيء فيحكم هواجسه وخواطره على الكتاب والسنة ولا يلتفت إليهما، ويقول: "حدثني قلبي عن ربي، ونحن أخذنا عن الحي الذي لا يموت،

---

منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: ((إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع)) فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ؟ فقال: أبي بن كعب والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك، وجمع ابن القيم في إعلام الموقعين (٢/٢٧٠-٢٧٢) هذه المواضع فقال: "وخفي على عمر تيمم الجنب فقال: لو بقي شهرا لم يُصلِ حتى يغتسل، وخفي عليه دية الأصابع، فقضى في الإبهام والتي تليها بخمس وعشرين حتى أخبر أن كتاب آل عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ قضى فيها بعشر عشر؛ فترك قوله ورجع إليه، وخفي عليه شأن الاستئذان حتى أخبره به أبو موسى وأبو سعيد الخدري، وخفي عليه توريث المرأة من دية زوجها حتى كتب إليه الضحاك بن سفيان الكلابي -وهو أعرابي من أهل البادية- أن رسول الله ﷺ أمره أن يورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها، وخفي عليه حكم إملاص المرأة حتى سأل عنه فوجده عند المغيرة بن شعبة، وخفي عليه أمر المجوس في الجزية حتى أخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر، وخفي عليه سقوط طواف الوداع عن الحائض فكان يردهن حتى يطهرن ثم يطفن حتى بلغه عن النبي ﷺ خلاف ذلك فرجع عن قوله، وخفي عليه التسوية بين دية الأصابع وكان يفاضل بينها حتى بلغته السنة في التسوية فرجع إليها، وخفي عليه شأن متعة الحج وكان ينهى عنها حتى وقف على أن النبي ﷺ أمر بها فترك قوله وأمر بها، وخفي عليه جواز التسمي بأسماء الأنبياء فنهى عنه حتى أخبره به طلحة أن النبي ﷺ كناه أبا محمد فأمسك و لم يتماد على النهي، هذا وأبو موسى ومحمد بن مسلمة وأبو أيوب من أشهر الصحابة، ولكن لم يمر بباله ﷺ أمر هو بين يديه حتى نهى عنه، وكما خفي عليه قوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [سورة الزمر:٣٠]، وقوله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [سورة آل عمران:١٤٤] حتى قال: والله كأني ما سمعتها قط قبل وقتي هذا، وكما خفي عليه حكم الزيادة في المهر على مهر أزواج النبي ﷺ وبناته حتى ذكَّرته تلك المرأة بقوله تعالى ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا﴾ فقال: كل أحد أفقه من عمر حتى النساء، وكما خفي عليه أمر الجد والكلالة وبعض أبواب الربا فتمنى أن رسول الله ﷺ كان عهد إليهم فيها عهدا، وكما خفي عليه يوم الحديبية أن وعد الله لنبيه وأصحابه بدخول مكة مطلق لا يتعين لذاك العام حتى بينه له النبي ﷺ، وكما خفي عليه جواز استدامة الطيب للمحرم وتطيبه بعد النحر وقبل طواف الإفاضة وقد صحت السنة بذلك، وكما خفي عليه أمر القدوم على محل الطاعون والفرار منه حتى أُخبر بأن رسول الله ﷺ قال: ((إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها، فإن وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه)) هذا وهو أعلم الأمة بعد الصديق على الإطلاق، وهو كما قال ابن مسعود: "لو وضع عِلْمُ عمر في كفة ميزان وجعل علم أهل الأرض في كفة لرجح علم عمر"، قال الأعمش: فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فقال: والله إني لأحسب عمر ذهب بتسعة أعشار العلم".

وأنتم أخذتم عن الوسائط، ونحن أخذنا بالحقائق، وأنتم اتبعتم[١] الرسوم"[٢] وأمثال ذلك من الكلام الذي هو كفر وإلحاد[٣]، وغاية صاحبه أن يكون جاهلاً يُعذر بجهله[٤]، حتى

---

(١) في (ش): [أخذتم].

(٢) هذا القول نسبه ابن عربي في الفتوحات المكية (٣٥٢/١) (٤١٠/٤) إلى أبي يزيد البسطامي، ولفظه عنده "قال أبو يزيد البسطاميّ ﷺ في هذا المقام وصحته -يخاطب علماء الرسوم-: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدثني فلان، وأين هو؟ قالوا: مات، عن فلان، وأين هو؟ قالوا: مات"، وانظر: تلبيس إبليس (٤٥٠)، وذكر شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٤٦١/٢) (٢٥٧/١٣) وفي منهاج السنة (٢٤٩/٥) أن ما يُنقل عن أبي يزيد البسطامي إما أن يكون مكذوبا عليه، أو أنه مما أخطأ فيه بسبب السكر الحاصل بسبب الفناء القاصر، وقد كان ينكره إذا أفاق.

(٣) نقل ابن الجوزي في تلبيس إبليس (٤٥١) عن ابن عقيل قوله: "ومن قال: (حدثني قلبي عن ربي) فقد صرح أنه غني عن الرسول، ومن صرح بذلك فقد كفر، فهذه كلمة مدسوسة في الشريعة تحتها هذه الزندقة، ومن رأيناه يُزري على النقل؛ علمنا أنه قد عطل أمر الشرع، وما يُؤمن هذا القائل: (حدثني قلبي عن ربي) أن يكون ذلك من إلقاء الشياطين، فقد قال الله عز وجل ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [سورة الأنعام:١٢١] وهذا هو الظاهر، لأنه ترك الدليل المعصوم وعول على ما يلقي في قلبه الذي لم يثبت حراسته من الوساوس، وهؤلاء يُسمون ما يقربهم خاطرا"، ونقل ابن حجر في فتح الباري (٢٢٢/١) اتفاق أهل الشرائع على كفر من قال هذا القول، ونقل ابن القيم في مدارج السالكين (٤٠/١) عن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: "وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: "حدثني قلبي عن ربي" فصحيح أن قلبه حدثه، ولكن عمن؟ عن شيطانه أو عن ربه؟ فإذا قال: "حدثني قلبي عن ربي" كان مسندا الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به، وذلك كذب، قال: ومُحدَّث الأمة لم يكن يقول ذلك، ولا تفوه به يوما من الدهر، وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك، بل كتب كاتبه يوما: "هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب" فقال: "لا امحه، واكتب هذا ما رأى عمر بن الخطاب، فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمن عمر، والله ورسوله منه بريء" وقال في الكلالة: "أقول فيها برأيي، فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان" فهذا قول المُحدَّث بشهادة الرسول، وأنت ترى الاتحادي والحلولي والإباحي الشطاح، والسماعي: مُجاهر بالقِحَة والفرية، يقول: "حدثني قلبي عن ربي"، فانظر إلى ما بين القائلين والمرتبتين والقولين والحالين، وأعط كل ذي حق حقه، ولا تجعل الزغل والخالص شيئا واحدا"، ومن محاولات الصوفية في تخريج هذه الأقوال ما نقله الشعراني في الطبقات الكبرى (٣٧٨) عن الشاذلي قوله: "وقال -في إنكار بعضهم على من قال: "حدثني قلبي عن ربي"- لا إنكار، لأن المراد أخبرني قلبي عن ربي من طريق الإلهام الذي هو وحي الأولياء، وهو دون وحي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا إنكار على من قال: "كلمني الله تعالى كما كلم موسى، ففرق بين أخبر وكلَّم، يا من أنكر وتوهم".

(٤) ومن أسباب عذره أيضا -غير الجهل- زوال عقله بسبب السكر الحاصل بالفناء، وكان كثير منهم إذا أفاق أنكر ما قاله، وهي شطحات بعض المشائخ، وهذه الكلمات لو صدرت عن قائلها وعقله معه لكان كافراً،

قيل لبعض هؤلاء: ألا تذهب فتسمع الحديث من عبد الرزاق(١)!، فقال: ما يصنع بالسماع مِنْ عبد الرزاق مَنْ يسمع من الملك الخلاق!(٢).

وهذا غاية الجهل؛ فإن الذي سمع من الملك/(٣) الخلاق: موسى بن عمران -كليم الرحمن- عليه السلام، وأما هذا وأمثاله فلم(٤) يحصل لهم السماع من بعض ورثة الرسول ﷺ، وهو يدعي أنه يسمع الخطاب من مُرْسِله، فيستغني به عن ظاهر العلم، ولعل الذي يخاطبه هو الشيطان، أو نفسه الجاهلة، أو هما -مجتمعين ومنفردين-.

ومن ظن أنه يستغني عما جاء به الرسول ﷺ بما يُلقى في قلبه من الخواطر والهواجس؛ فهو من أعظم الناس كفرا، وكذلك إن ظن أنه يكتفي بهذا تارة وبهذا تارة(٥).

---

لكن مع سقوط التمييز والشعور يرتفع عنه قلم المؤاخذة، ومع هذا فلا يجوز الاقتداء بهم، ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة، بل هم مثل الغافل والمجنون في التكاليف الظاهرة، وقال فيهم بعض العلماء: هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم وترك أحوالهم وأسقط ما فرض بما سلب، قال ابن القيم في المدارج (٤٦٨/٢): "ونحو هذا من الكلمات التي أحسن أحوال قائلها: أن يكون جاهلاً يُعذر بجهله، أو شاطحاً معترفاً بشطحه" [وانظر: منهاج السنة (٣٥٧/٥)، ومجموع الفتاوى (٣٩٦/٢-٣٩٧) (٣٣٩/١٠-٣٤١)، ومدارج السالكين (١٥٥/١)]، ومسألة العذر بالجهل مسألة مشهورة دلّ عليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام سلف الأمة، وألفت فيها عدة مؤلفات، وومنها كتاب: الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه لعبدالرزاق معاش، وكتاب عارض الجهل وأثره على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لأبي العلا بن راشد، .

(١) يريد عبد الرزاق بن همام الصنعاني، وقد سبقت ترجمته.

(٢) لم أقف عليه عند غير ابن القيم، وانظره في المدارج (٤٦٨/٢) وقال: "وإلا فلولا عبد الرزاق وأمثاله، ولولا أخبرنا وحدثنا؛ لما وصل إلى هذا وأمثاله شيء من الإسلام، ومن أحالك على غير أخبرنا وحدثنا؛ فقد أحالك: إما على خيال صوفي، أو قياس فلسفي، أو رأي نفسي، فليس بعد القرآن وأخبرنا وحدثنا إلا شبهات المتكلمين، وآراء المنحرفين، وخيالات المتصوفين، وقياس المتفلسفين، ومن فارق الدليل ضلّ عن سواء السبيل، ولا دليل إلى الله والجنة سوى الكتاب والسنة، وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة؛ فهي من طرق الجحيم والشيطان الرجيم".

(٣) (٥٨/ب).

(٤) في (ع): [فلا].

(٥) وهذه مسألة إجماع عند السلف والخلف كما نقل القرطبي في تفسيره (٤١/١١) وقال: "ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب"، وذلك لتضمنها القدح في نبوة نبينا محمد ﷺ، قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٤٩٧/١٢): "وأصل ضلال هؤلاء الإعراض عما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة، وابتغاء الهدى في خلاف ذلك، فمن كان هذا أصله فهو بعد بلاغ الرسالة كافر لا ريب فيه، مثل من يرى أن الرسالة للعامة

فما يلقى في القلوب لا عبرة به ولا التفات إليه؛ إن لم يُعرض على ما جاء به الرسول ﷺ، ويشهد له بالموافقة؛ وإلا فهو من إلقاء النفس والشيطان.

وقد سئل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن مسألة الـمُفَوّضَة(١) شهراً، فقال بعد الشهر: ((أقول فيها برأي(٢)، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله))(٣).

وكتب كاتب لعمر بين يديه: "هذا ما أرى الله عمر"، فقال: "لا، امْحُه واكتب: هذا ما رأى عمر"(٤).

---

دون الخاصة، كما يقوله قوم من المتفلسفة وغالية المتكلمة والمتصوفة، أو يرى أنه رسول إلى بعض الناس دون بعض، كما يقوله كثير من اليهود والنصارى"، وانظر: مجموع الفتاوى (٤٢٢/٣) (٣١٨/٤) (٤٨/١١، ٦٦) (٣٣٩/٢٤) (٥٩/٢٧) (٤٧٥/٢٨)، ومدارج السالكين (٤٧٦/٢)، وفتح الباري (٢٢١/١)، وكشاف القناع عن متن الإقناع (١٧١/٦)، وتيسير العزيز الحميد (٣٠٦).

(١) قال النسفي في طلبة الطلبة (١٣٤): "الـمُفَوِّضَة -بكسر الواو-: هي التي زوجت نفسها من رجل من غير تسمية مهر، والـمُفَوَّضَة -بفتح الواو-: هي التي زوّجها وليُّها من رجل من غير تسمية مهر، فبالكسر نعت الفاعلة، وبالفتح نعت المفعولة، والتفويض هو التسليم، وهو ترك المنازعة والمضايقة، ويراد به تفويض أمر المهر إلى الزوج، وترك المنازعة في تقديره"، وانظر: المغني (١٨٣/٧)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢٥٦/٣)، والمطلع على أبواب المقنع (٣٢٧)، وكان السؤال عن رجل تزوج امرأة فلم يفرض لها ولم يمسها حتى مات، فأفتى ابن مسعود بأن لها الصداق كصداق نسائها لا وكس ولا شطط، وإن لها الميراث، وعليها العدة.

(٢) في (ع): [برأيي]، والروايات أكثرها على هذا، ورواية الطبراني في الأوسط وأبو نعيم كما جاء في الأصل.

(٣) أخرجه داود في كتاب النكاح باب فيمن تزوج ولم يسم صداقا حتى مات برقم (٢١١٦)، والنسائي في كتاب النكاح باب إباحة التزوج بغير صداق برقم (٣٣٥٤) (٣٣٥٨)، وفي الكبرى برقم (٥٥١٨)، والإمام أحمد في المسند برقم (١٨٤٨٣)، وعبد الرزاق في المصنف برقم (١١٧٤٥)، وسعيد بن منصور في سننه (بتحقيق الأعظمي) برقم (٩٢٩)، وابن أبي شيبة في المصنف برقم (١٧١١٧) (٢٩٠٧٢)، وابن الجارود في المنتقى برقم (٧١٨)، والدولابي في الكنى والأسماء برقم (٢٢٨)، والطحاوي في مشكل الآثار برقم (٥٣٢٣-٥٣٢٦)، والمحاملي في أماليه برقم (٣٦١)، وابن حبان برقم (٤١٠١)، والطبراني في الأوسط برقم (٢١٠٨)، وفي الكبير برقم (٥٤٣-٥٤٥)، والحاكم في المستدرك برقم (٢٧٣٧)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة برقم (٦٠٨٧)، والخطيب في الفقية والمتفقه (٤٩٥/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٠/٢٥)، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين (٥٧/١)، وقال الألباني في إرواء الغليل برقم (١٩٣٩): "وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال مسلم".

(٤) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار برقم (٣٥٨٣)، والهروي في ذم الكلام برقم (٢٥٨)، وعند الهروي

وقال عمر أيضا: "أيها الناس اتهموا الرأي على الدّين، فلقد رأيتني يوم أبي جَنْدَل(١)؛ ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته"(٢).

واتهام الصحابة لآرائهم كثير مشهور، وهم أبر الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأبعدها من الشيطان، وكانوا أتبع الأمة للسنة، وأشدهم اتهاماً لآرائهم، وهؤلاء ضد ذلك.

وأهل الاستقامة منهم سلكوا على الجادّة، ولم يلتفتوا إلى شيء من الخواطر والهواجس والإلهامات، حتى يقوم عليها شاهدان.

قال الجنيد(٣): قال أبو سليمان [الداراني](١): "ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم

---

أن الكاتب هو مسروق، وفي المستصفى (٣٦١) للغزالي أنه أبو موسى الأشعري ﷺ.

(١) أبو جندل عبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود، صحابي جليل، أسلم قديما بمكة فحبسه أبواه بالحديد حتى لا يهاجر، ثم أفلت منهما بعد الحديبية، فلحق بأبي بصير ومن معه بالعيص، توفي في بطاعون عمواس سنة (١٨)هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٤٠٥/٧)، والطبقات (٢٦، ٣٠٠) لابن خياط، والثقات (٤٥٢/٣) لابن حبان]، ويوم أبي جندل المشار إليه هو ما حصل في صلح الحديبية، حيث كان من بنود الصلح ما قاله سهيل بن عمرو: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل -وإن كان على دينك- إلا رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله، كيف يُرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينا هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده -وقد خرج من أسفل مكة- حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي، فرده ﷺ إلى أبيه، فالأجل هذا غضب عمر ﷺ، وقد أخرج القصة الإمام أحمد برقم (١٨٩٣٠) وابن أبي شيبة برقم (٣٦٨٥٥)، والطبري في تاريخه (١٢٣/٢).

(٢) أخرجه من قول عمر الإمام أحمد في فضائل الصحابة برقم (٥٥٨)، والبزار في مسنده برقم (١٤٨)، والدولابي في الكنى والأسماء برقم (١٥١٧)، وابن المنذر في الأوسط برقم (٣٣٢٣)، وابن الأعرابي في معجمه برقم (١١٠٨)، والطبراني في الكبير برقم (٨٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (٢٠٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة برقم (٢١٤)، والبيهقي في المدخل إلى السنن برقم (٢١٧)، قال البزار: "وهذا الحديث لا نعلمه يُروى عن عمر إلا من هذا الوجه، ولم يشارك مبارك -يعني ابن فضالة- في روايته عن عبيد الله -يعني بن عمر- في هذا الحديث أحدا، وقد رواه غير عمر"، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٩/١): "رواه أبو يعلى، ورجاله موثقون؛ وإن كان فيهم مبارك بن فضالة"، وقد جاء الأثر من قول سهل بن حنيف ﷺ يوم صفين عند البخاري في كتاب الجهاد والسير باب إثم من عاهد ثم غدر برقم (٣٠١٠)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية في الحديبية برقم (١٧٨٥).

(٣) في (ش) زيادة: [بن محمد]، وهو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي، أبو القاسم الخزاز، أصل والده من نهاوند، واشتهر بصناعة القوارير، فلُقِّب بالقواريري، ولد الجنيد ونشأ بالعراق، أخذ الفقه عن أبي ثور، وصحب سري السقطي والحارث المحاسبي، من أئمة الصوفية المتقدمين، وهو شيخ الطريقة وسيد الطائفة،

أياما؛ فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين من الكتاب والسنة"(٢).

وقال أبو يزيد(٣): "لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى [يُرفع](٤) في الهواء؛ فلا تغتروا به حتى تنظروا: كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود؟"(٥).

وقال أيضاً: "من ترك قراءة القرآن، ولزوم الجماعات، وحضور الجنائز، وعيادة المرضى(٦)، وادعى بهذا الشأن؛ فهو مُدَّع"(٧).

وقال سريّ السقطي(٨): "من ادعى باطن علم ينقضه(١) ظاهر حكم؛ فهو غالط"(٢).

---

وكان من أعظم الناس لزوما للأمر والنهي، وتوصية بإتباع ذلك، توفي سنة (٢٩٧)هـ [انظر: طبقات الصوفية (١٢٩)، وحلية الأولياء (٢٥٥/١٠)، وتاريخ بغداد (٢٤١/٧)].

(١) في الأصل: [الدراني]، والصواب ما أثبته من النسختين، ومن مصادر ترجمته، وهو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي، أبو سليمان الداراني، نسبة إلى دَارَيَّا بغوطة دمشق، روى عن سفيان الثوري، والربيع بن صبيح، وروى عنه أحمد بن أبي الحواري، والقاسم بن عثمان الجوعي، أحد الزهاد العباد، من أئمة الصوفية المتقدمين، توفي سنة (٢١٥)هـ [انظر: الجرح والتعديل (٢١٤/٥)، والثقات (٣٧٦/٨) لابن حبان، وطبقات الصوفية (٧٤)].

(٢) أخرجها عنه السلمي في طبقات الصوفية (٧٦)، ومن طريقه القشيري في رسالته (٤١)، ومن طريقهما ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢٧/٣٤)، وانظر: تلبيس إبليس (٢٠٧)، والاستقامة (٩٥/٢)، والصفدية (٢٥٣/١)، ومدارج السالكين (٤٠/٢، ٤٦٤) (١٤٢/٣).

(٣) طيفور بن عيسى بن سروشان البِسْطامي، نسبة إلى بلدة بين خرسان والعراق، كان جده مجوسيا فأسلم، روى أبو يزيد عن أبي عبد الرحمن السري، وروى عنه علي بن جعفر البغدادي، وقد ذكر شيخ الإسلام أن كثيرا ما يروى عنه إما كذب عليه أو أنه مما غلط فيه بسبب السكر الحاصل لأجل الفناء القاصر، فيُطوى ولا يُروى، توفي سنة (٢٦١)هـ [انظر: طبقات الصوفية (٦٧)، والرسالة القشيرية (٣٧)، والإكمال (١١٢/٧) لابن ماكولا، ومجموع الفتاوى (٤٦١/٢) (٢٥٧/١٣)].

(٤) في الأصل: [يتربع]، والصواب ما أثبته من (ع)، ومن مصادره، وفي (ش): [يرتفع].

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤٠/١٠)، والبيهقي في الشعب برقم (١٨٦٠)، ولفظه: "لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرفع في الهواء؛ فلا تغتروا به حتى تنظروا: كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة؟"، وانظر: تلبيس إبليس (٢٠٨)، ووفيات الأعيان (٥٣١/٢)، وميزان الاعتدال (٤٧٤/٣)، ومفتاح دار السعادة (١٦٠/١)، ومدارج السالكين (١١٩/٣).

(٦) في النسختين: [المريض].

(٧) أخرجه البيهقي في الشعب برقم (١٨٦٢)، بلفظ: "من ترك طلب العلم، وقراءة القرآن، والتقشف، ولزوم الطاعات، وحضور الجنائز، وادعى هذا الشأن فهو مدعي"، وانظر: تلبيس إبليس (٢٠٨) وفيه: "فهو مبتدع".

(٨) سريّ بن المغلِّس السقطي، أبو الحسن البغدادي، قيل إنه خال الجنيد وأستاذه، أحد الزُهَّاد العُبَّاد، صحب

وقال الجنيد: "مذهبنا هذا مُقيَّدٌ بالأصول بالكتاب والسنة، فمن لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ويتفقه/(٣)؛ لا يُقْتَدَى به"(٤).

وقال أبو بكر الدقاق(٥): "من ضيع حدود الأمر والنهي في الظاهر؛ حُرِمَ مشاهدة القلب في الباطن"(٦).

وقال أبو الحسين النوري(٧): "من رأيته يدعي مع الله حالة تُخرجه عن حد العلم الشرعي؛ فلا تَقْرَبْه، ومن رأيته يدعي حالة لا يشهد لها حفظ ظاهر(٨)؛ فاتهمه على دينه"(٩).

---

معروف الكرخي، روى عن هشيم بن بشير وأبي بكر بن عياش، وروى عنه الجنيد وأبي الحسن النوري، توفي سنة (٢٥٣)هـ [انظر: طبقات الصوفية (٥١)، وحلية الأولياء (١١٦/١٠)، وتاريخ بغداد (١٨٧/٩)].

(١) في (ع): [يخالفه]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [ينقضه] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٢١/١٠)، وانظر: تلبيس إبليس (٢٠٨)، ومدارج السالكين (١١٩/٣).

(٣) (٥٩/أ).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٥٥/١٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢٤٣/٧)، والقشيري في رسالته (٥١)، وانظر: تلبيس إبليس (٢٠٨)، والاستقامة (٢٤٩/١) (١٤١/٢)، والصفدية (٢٥٤/١)، ومدارج السالكين (٤٦٤/٢) (١٤٢/٣)، وألفاظه متعددة فبعضها: (علمنا مضبوط بالكتاب)، وبعضها: (علمنا هذا مقيد بالكتاب)، وبعضها: (مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب).

(٥) محمد بن عبد الله بن يوسف أبو بكر الدّقاق، وفي بعض المصادر: الرّقاق، وفي بعضها: الزّقاق، روى عن الجنيد، ويُعدُّ من أقرانه، أحد أئمة الصوفية وعبادهم، توفي سنة (٢٩٠)هـ [انظر: تاريخ بغداد (٤٤٢/٥)، وصفة الصفوة (٤١٥/٢)، والبداية والنهاية (٩٧/١١)، والنجوم الزاهرة (١٣١/٣)].

(٦) ذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس (٢٠٨) عن أبي بكر الشفاف، وفي طبعة أخرى بتحقيق د/المزيد (٩٩٢/٣) (الشقاق)، وذكر أن في نسخة أخرى: (السقاق).

(٧) في (ع): [الثوري]، وهو تصحيف، أحمد -ويقال محمد- بن محمد النوري، أبو الحسين البغدادي، عُرِف بابن البغوي، صحب سري السقطي ومحمد القصاب، وكان الجنيد يُعظِّم شأنه، توفي سنة (٢٩٥)هـ [انظر: طبقات الصوفية (١٣٥)، وحلية الأولياء (٢٤٩/١٠)، وتاريخ بغداد (١٣٠/٥)].

(٨) في (ش): [ظاهره].

(٩) أخرجه مطولا أبو نعيم في الحلية (٢٥٢/١٠) والشجري في أماليه (١١/٢) ضمن عشر وصايا لأبي الحسن، وأخرجه الشطر الأول منه القشيري في رسالته (٥٣)، وانظر: تلبيس إبليس (٢٠٨، ٤٤٥)، والاستقامة (٩٨/١، ٢٥١)، ومدارج السالكين (٤٦٦/٢).

[وقال أبو سعيد الخَرَّاز(١): "كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل"(٢) ](٣).

وقال الجَرِيرِي(٤): "أمرنا هذا كله مجموع على فَصْلٍ واحدٍ: أن تُلزم(٥) قلبك المراقبة، ويكون العلم على ظاهرك قائما"(٦).

وقال أبو حفص -الكبير الشأن-(٧): "من لم يَزِن أفعاله وأحواله بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره؛ فلا تَعُدّوه في ديوان الرجال"(٨).

وما أحسن ما قال [أبو](٩) أحمد الشيرازي(١٠): "كان الصوفية يسخرون من الشيطان،

---

(١) أحمد بن عيسى الخَرَّاز، أبو سعيد البغدادي، من كبار أئمة الصوفية، صحب ذا النون المصري، وسَرِيّا السَّقطي، وحدّث عن إبراهيم بن بشار الخرساني، وروى عنه أبو محمد الجريري وأبو بكر الدقاق، توفي سنة (٢٧٩)هـ وقيل (٢٧٧)هـ [انظر: طبقات الصوفية (١٨٣)، وتاريخ بغداد (٢٧٦/٤)، والرسالة القشيرية (٦١)].

(٢) أخرجه السلمي في طبقات الصوفية (١٨٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٤٧/١٠)، وانظر: الرسالة القشيرية (٦١)، وتاريخ دمشق (١٣٠/٥)، وتلبيس إبليس (٣٩٥)، ومدارج السالكين (٤٦٦/٢).

(٣) زيادة من النسختين، سقطت من الأصل.

(٤) في (ش): [الحريري]، وهو تصحيف، والجريري هو أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري، من كبار مشايخ الصوفية، وهو من كبار أصحاب الجنيد، وسهل التستري، توفي سنة (٣١١)هـ [انظر: طبقات الصوفية (٢٠٣)، وحلية الأولياء (٣٤٧/١٠)، وتاريخ بغداد (٤٣١/٤)].

(٥) في (ع): [يلزم].

(٦) انظر: صفة الصفوة (٤٤٨/٢)، وتلبيس إبليس (٢٠٨) وفيه: (على فضلٍ واحد).

(٧) عمرو -ويقال: عمر- بن سلمة النيسابوري، أبو حفص الصوفي الحداد الزاهد، شيخ خرسان، من أقران الجنيد، روى عن حفص بن عبد الرحمن الفقيه، وروى عنه أبو عثمان النيسابوري، وشاه الكرماني، توفي سنة (٢٦٧)هـ وقيل (٢٦٤)هـ [انظر: حلية الأولياء (٢٢٩/١٠)، وتاريخ بغداد (٢٢٠/١٢)، والأنساب (١٨١/٢)].

(٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٣٠/١٠)، والبيهقي في الشعب (٣٠٢/٢)، والقشيري في رسالته (٤٥)، وانظر: صفة الصفوة (١٢٠/٤)، وتلبيس إبليس (٢٠٨)، والاستقامة (٩٦/١، ٢٤٩)، ومدارج السالكين (٤٦٤/٢).

(٩) زيادة من النسختين، سقطت من الأصل، وهكذا في تلبيس إبليس (بتحقيق د/المزيد) (١٠٤٢/٣)، فلعل ابن القيم نقله من ابن الجوزي، وكل النقول السابقة عند ابن الجوزي في التلبيس بدءاً من نقل الجنيد عن أبي سليمان الداراني كما بينته.

(١٠) لم أقف على ترجمة له، ولعل هناك خطأ في نسبة القول له، والصواب أنه من قول أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي كما في تخريجه.

والآن الشيطان يسخر منهم"(١).

ونظير هذا ما قاله بعض أهل العلم: "كان الشيطان فيما مضى ينهب من الناس، واليوم الرجل الذي ينهب من الشيطان"(٢).

**ف**

ومن كيده: أمرهم بلزوم زيٍّ واحد، ولِبْسَةٍ واحدة، ومشية وهيئة(٣) معيّنة، وشيخ معيّن، وطريقة مخترعة، ويفرض عليهم لزوم ذلك؛ بحيث يلزمونه كلزوم الفرائض، فلا يخرجون عنه، ويقدحون فيمن خرج عنه ويذُّمونه(٤)، وربما يلزم أحدهم موضعاً معيناً للصلاة لا يصلي إلا فيه، وقد ((نهى رسول الله ﷺ أن يتوطن الرجل المكان للصلاة كما يوطن البعير))(٥).

---

(١) أخرجه السلمي في طبقات الصوفية (٨٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠٩/٥٢)، من قول أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٥٦/٣)، ونسبه ابن الجوزي في تلبيس إبليس (٢١٦) لأبي حامد الشيرازي، وفي الطبعة بتحقيق د/المزيد (١٠٤٢/٣) أن في نسخة (أبو أحمد الشيرازي) كما جاء في النسختين (ش) و(ع).

(٢) لم أقف على قائله، أو على أحد ذكره غير المؤلف.

(٣) في النسختين: [هيئة ومشية] بالتقديم والتأخير.

(٤) هؤلاء هم صوفية الرسوم، قال البعلي في مختصر الفتاوى المصرية (٥٧٢): "وأما صوفية الرسوم فهم المقصودون المقتصرون على التشبه بهم في اللباس والآداب الوضعية، فهم بمنزلة الذي يقتصر على زيِّ أهل العلم"، وقال ابن حجر الهيتمي (٢٦٦/١): "وصوفية الرسوم وهم المقتصرون على لُبس زيّ القوم فليس لهم هِمةٌ إلا في تحصيله، وآداب وضعيَّةٌ يتعارفونها فيما بينهم، ومنزلة هؤلاء من الصوفية منزلة من يلبس ثياب العلماء أو المجاهدين متشبها بهم، من غير أن يعرف شيئا من العلم أو الجهاد".

(٥) أخرجه من حديث عبد الرحمن بن شبل الأنصاري ﷺ أبو دواد في كتاب الصلاة باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود ح(٨٦٢)، والنسائي في المجتبى باب النهي عن نقرة الغراب ح(١١١٢)، وفي الكبرى ح(٦٩٦)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في توطين المكان في المسجد يصلي فيه ح(١٤٢٩)، والدارمي في كتاب الصلاة باب النهي عن الافتراش ونقرة الغراب ح(١٣٢٣)، والإمام أحمد في المسند ح(١٥٥٧١) (١٥٧٠٥)، وابن أبي شيبة في المصنف ح(٤٩٧٨)، وابن خزيمة في صحيحه ح(٦٦٢)، وابن المنذر في الأوسط ح(٤٧٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ح(٦١٧٩)، والعقيلي في الضعفاء (١٧٠/١)، وابن قانع في معجم الصحابة (١٧٤/٢)، وابن حبان في صحيحه ح(٢٢٧٦)، وفي الثقات (٢٢٩/٩)، والحاكم في المستدرك ح(٨٣٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ح(٤٦٠٨)، والبيهقي في

وكذلك يُري أحدهم أن لا يصلي إلا على سجادة، ولم يُصلِّ رسول الله ﷺ على سجادة قط، ولا كانت السجادة تفرش بين يديه(١)، بل كان يُصلي على الأرض(٢)، وربما سجد في الطين(٣)، وكان يصلي على الحصير(٤)، فيصلي على ما اتفق بسطه، فإن لم يكن

---

الكبرى ح(٢٥٦٠) (٢٥٦١)، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح ولم يخرجاه لما قدمت ذكره من التفرد عن الصحابة بالرواية"، وقال ابن رجب في الفتح (٦٤٧/٢): "وفي إسناده اختلاف كثير، وتميم بن محمود قال البخاري: في حديثه نظر"، وقال الألباني في الصحيحه ح(١١٦٨): "لكنه يتقوى بأن له شاهدا بلفظ: ((نهى عن نقرة الغراب وعن فرشة السبع وأن يوطن الرجل مقامه في الصلاة كما يوطن البعير))، أخرجه الإمام أحمد، والبغوي في مختصر المعجم، عن عثمان البتي عن عبد الحميد بن سلمة عن أبيه مرفوعا، ورجاله ثقات غير عبد الحميد هذا فهو مجهول كما في (التقريب)، فالحديث عندي حسن بمجموع الطريقين"، والشاهد الذي أشار إليه أخرجه الإمام أحمد في المسند ح(٢٣٨٠٩)، والبغوي في معجم الصحابة ح(١٠٥١)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢٣١/٣).

(١) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٦٣/٢٢): "أما الصلاة على السجادة بحيث يتحرى المصلي ذلك فلم تكن هذه سنة السلف من المهاجرين والأنصار ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان على عهد رسول الله، بل كانوا يصلون في مسجده على الأرض، لا يتخذ أحدهم سجادة يختص بالصلاة عليها، وقد رُوي أن عبد الرحمن بن مهدي لما قدم المدينة بسط سجادة، فأمر مالك بحبسه، فقيل له: إنه عبد الرحمن بن مهدي! فقال: أما علمت أن بسط السجادة في مسجدنا بدعة"، وانظر: مجموع الفتاوى (١١٨/٢١).

(٢) كما في حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: ((أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ح(٤٢٧).

(٣) كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله ﷺ يجاور في رمضان العشر التي في وسط الشهر، فإذا كان حين يمسي من عشرين ليلة تمضي ويستقبل إحدى وعشرين رجع إلى مسكنه ورجع من كان يجاور معه، وأنه أقام في شهر جاور فيه الليلة التي كان يرجع فيها، فخطب الناس فأمرهم ما شاء الله، ثم قال: كنت أجاور هذه العشر ثم قد بدا لي أن أجاور هذه العشر الأواخر، فمن كان اعتكف معي فليثبت في معتكفه، وقد أريت هذه الليلة ثم أُنسيتها، فابتغوها في العشر الأواخر، وابتغوها في كل وتر، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين، فاستهلت السماء في تلك الليلة فأمطرت، فوكف المسجد في مصلى النبي ﷺ ليلة إحدى وعشرين، فبصرت عيني رسول الله ﷺ ونظرت إليه انصرف من الصبح ووجهه يمتلئ طينا وماء)) أخرجه البخاري في كتاب صلاة التراويح باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر فيه عن عبادة ح(١٩١٤)، ومسلم في كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها ح(١١٦٧).

(٤) كما في حديث أنس بن مالك ((أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته له، فأكل منه، ثم قال:

ثَمَّ شيءٌ صلّى على الأرض.

وهؤلاء اشتغلوا بحفظ الرسوم عن الشريعة والحقيقة، فصاروا واقفين مع[١] الرسوم المبتدعة، ليسوا مع أهل الفقه، ولا مع أهل الحقائق، فصاحب الحقيقة أشدّ شيء عليه التقيُّد[٢] بالرسوم الوضعية، وهي من أعظم الحجب بين قلبه وبين الله، فمتى تقيَّد بها حُبِس[٣] قلبه عن سيره، وكان أحسن أحواله[٤] الوقوف معها، ولا وقوف في السير، بل إما تقدمٌ وإما تأخرٌ، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [سورة المدثر:٣٧]/[٥] فلا وقوف في الطريق؛ إنما هو ذهاب وتقدم، أو رجوع وتأخر.

ومن تأمل هدي رسول الله ﷺ وسيرته[٦]؛ وَجَدَه مناقضا لهدي هؤلاء؛ فإنه كان يلبس القميص[٧] تارة[٨]، والقَبَاءُ[٩] تارة[١]، والجُبَّةُ[٢] تارة[٣]، والإزار والرداء تارة[٤]،

---

قوموا فلأصل لكم، قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لُبس فنضحته بماء؛ فقام رسول الله ﷺ وصففت أنا واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا، فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم انصرف)) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب الصلاة على الحصير ح(٣٧٣)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جواز الجماعة في النافلة والصلاة على حصير وخمرة وثوب وغيرها من الطاهرات ح(٦٥٨).

(١) في (ع): [على].

(٢) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [التعبد].

(٣) في النسختين زيادة: [بها].

(٤) في (ش): [أحوالها].

(٥) (٥٩/ب).

(٦) في (ع): [وسيره].

(٧) القميص هو: الشعار تحت الدثار، وفي الوقت الحاضر يطلق على اللباس الرقيق الذي يُرتدى تحت السترة غالبا [انظر: المعجم الوسيط (٧٥٩/٢)، ومعجم الرائد اللغوي (٦٤٧)].

(٨) كما في حديث جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال((أتى رسول الله ﷺ عبد الله بن أُبيّ بعد ما أدخل حفرته، فأمر به فأُخرج، فوضعه على ركبتيه، ونفث عليه من ريقه، وألبسه قميصه، فالله أعلم، وكان كسا عباسا قميصا، قال سفيان: وقال أبو هارون: وكان على رسول الله ﷺ قميصان، فقال له بن عبد الله: يا رسول الله ألبس أبي قميصك الذي يلي جلدك، قال سفيان: فيرون أن النبي ﷺ أُلبَس عبد الله قميصه مكافأة لما صنع)) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب هل يخرج الميت من القبر واللحد لعلة ح(١٢٨٥)، وفي كتاب اللباس باب لبس القميص ح(٥٤٦٠).

(٩) سُمّي بذلك لاجتماع أطرافه كما ذكر ابن دريد في الجمهرة (٣٧٥/١)، وقال أبو عبيد في غريب الحديث

ويركب البعير وحده(٥)، ومُرْدِفا لغيره(٦)، ويركب الفرس مُسْرَجا(١) وعُرْيانا(٢)، ويركب

(١٨٨/٣): "القباء الذي فيه شق من خلفه"، وقال محمد بن أبي نصر الحميدي في تفسير غريب ما في الصحيحين (٢٧٦/١): "هو الثوب المُفرَّج المضموم وسطه، وجمعه أقبية، واشتقاقه من القبو، وهو الجمع بالأصابع"، وعليه فهو يلبس فوق الثياب أو القميص ويُتمنطق به [انظر: المعجم الوسيط (٧١٣/٢)، ومعجم الرائد اللغوي (٦١٨)].

(١) كما في حديث عن المسور بن مخرمة رضى الله تعالى عنهما قال: ((قسم رسول الله ﷺ أقبية ولم يعط مخرمة منها شيئا، فقال مخرمة: يا بُني انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فانطلقت معه، فقال: ادخل فادعه لي، قال: فدعوته له، فخرج إليه وعليه قباء منها، فقال: خبأنا هذا لك، قال: فنظر إليه فقال: رضي مخرمة)) أخرجه البخاري في كتاب اللباس باب القباء وفروج حرير وهو القباء، ويقال: هو الذي له شق من خلفه ح(٥٤٦٤)، ومسلم في كتاب الزكاة باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ح (١٠٥٨).

(٢) الجُبَّة هي: ثوب طويل له كُمان، مشقوق المُقدم، يلبس فوق الثياب [المعجم الوسيط (١٠٤/١)، ومعجم الرائد اللغوي (٢٦٧)].

(٣) كما في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال كنت مع النبي ﷺ في سفر فقال: ((يا مغيرة خذ الإداوة، فأخذتها فانطلق رسول الله ﷺ حتى توارى عني، فقضى حاجته، وعليه جُبَّة شأمية، فذهب ليخرج يده من كمها فضاقت، فأخرج يده من أسفلها، فصببت عليه فتوضأ وضوءه للصلاة، ومسح على خفيه ثم صلى)) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب الصلاة في الجُبَّة الشأمية ح(٣٥٦)، ومسلم في كتاب الطهارة باب المسح على الخفين ح(٢٧٤).

(٤) كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ((أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره فقال له العباس عمه يا بن أخي لو حللت إزارك فجعلت على منكبيك دون الحجارة قال فحله فجعله على منكبيه فسقط مغشيا عليه فما رؤي بعد ذلك عريانا ﷺ)) أخرجه البخاري كتاب الصلاة باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها ح(٣٥٧)، ومسلم كتاب الحيض باب الاعتناء بحفظ العورة ح(٣٤٠).

(٥) كما في حديث بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ((طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجن)) أخرجه البخاري في كتاب الحج باب استلام الركن بالمحجن ح(١٥٣٠)، ومسلم في كتاب الحج باب جواز الطواف على بعير وغيره واستلام الحجر بمحجن ونحوه للراكب ح(١٢٧٢).

(٦) كما في حديث عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ((كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال: نعم وذلك في حجة الوداع)) ومعلوم أنه حج على ناقته، وأخرجه البخاري في كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله ح(١٤٤٢)، ومسلم في كتاب الحج، باب الحج عن العاجز لزمانه وهرم ونحوهما أو للموت ح(١٣٣٤)، وللحافظ ابن مندة (كتابٌ فيه معرفة أسامي أرداف النبي ﷺ)، ذكر فيه سبعة وثلاثين رديفاً للنبي ﷺ، مطبوع بتحقيق: يحيى غزاوي.

الحمار[٣]، ويأكل ما حضر[٤]، ويجلس على الأرض تارة[٥]، وعلى الحصير[١] تارة[٢]،

---

(١) في (ش): [مسروجاً]، كما في حديث أبي عبد الرحمن الفهري ﷺ قال: ((شهدت مع رسول الله ﷺ حُنينا، فسرنا في يوم قائظ شديد الحر، فنزلنا تحت ظل الشجرة، فلما زالت الشمس لبست لآمتي وركبت فرسي، فأتيت رسول الله ﷺ وهو في فسطاطه فقلت: السلام عليك يا رسول ورحمة الله وبركاته، قد حان الرواح، قال: أجل، ثم قال: يا بلال قم، فثار من تحت سمرة كأن ظله ظل طائر، فقال: لبيك وسعديك وأنا فداؤك، فقال: أسرج لي الفرس، فأخرج سرجا دفتاه من ليف ليس فيه أشر ولا بطر، فركب وركبنا)) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب في الرجل ينادي الرجل فيقول لبيك ح(٥٢٣٣)، والإمام أحمد في المسند ح(٢٢٥٢٠)، والطيالسي في مسنده ح(١٣٧١)، وابن أبي شيبة (٥٧٦)، والطبراني في الكبير ح(٧٤١)، وغيرهم، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨١/٦): "رواه البزار والطبراني ورجالهما ثقات"، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ح(٥٢٣٣).

(٢) كما في حديث أنس ﷺ قال: ((كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر، وهو على فرس لأبي طلحة عريّ، وفي عُنقه السيف، وهو يقول: لم تراعوا، لم تراعوا، ثم قال: وجدناه بحرا أو قال إنه لبحر)) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق ح (٢٧٥١)، ومسلم في كتاب الفضائل باب في شجاعة النبي عليه السلام وتقدمه للحرب ح(٢٣٠٧).

(٣) كما في حديث معاذ ﷺ قال: ((كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير، فقال: يا معاذ هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا)) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب اسم الفرس والحمار ح(٢٧٠١)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ح(٣٠).

(٤) كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: ((كان رسول الله ﷺ إذا أُتي بطعام سأل عنه: أهدية أم صدقة؟ فإن قيل: صدقة؛ قال لأصحابه: كلوا ولم يأكل، وإن قيل: هدية؛ ضرب بيده ﷺ فأكل معهم)) أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها باب قبول الهدية ح(٢٤٣٧)، ومسلم في كتاب الزكاة باب قبول النبي الهدية ورده الصدقة ح(١٠٧٧).

(٥) كما في حديث عبد الله بن عمرو ﷺ ((أن النبي ﷺ ذُكر له صومي، فدخل عليَّ فألقيت له وسادة من آدم حشوها ليف، فجلس على الأرض، وصارت الوسادة بيني وبينه، فقال لي: أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام؟ قلت: يا رسول الله! قال: خمسا؟ قلت: يا رسول الله! قال: سبعا؟ قلت: يا رسول الله! قال: تسعا؟ قلت: يا رسول الله! قال: إحدى عشرة؟ قلت: يا رسول الله! قال: لا صوم فوق صوم داود شطر الدهر، صيام يوم وإفطار يوم)) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب من ألقي له وسادة ح(٥٩٢١)، ومسلم في كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم ح(١١٥٩).

وعلى البساط تارة(٣)، ويمشي وحده تارة، ومع أصحابه تارة(٤)، وهديه عدم التكلف، وعدم التقيد(٥) بغير ما أمره به ربه، فبين هديه وهدي هؤلاء بَوْنٌ بعيد.

---

(١) الحصير هو: البساط المنسوج من أوراق البردى أو السعف أو نحوهما، وسمي بذلك لأنه حصرت طاقاته بعضها مع بعض، وقيل لأنه يحصر ما تحته من التراب [انظر: العين (١١٤/٣)، وتهذيب اللغة (١٣٧/٤)، والمخصص (٢٣٠/٣)].

(٢) كما في حديث عائشة رضي الله عنها ((أن النبي ﷺ كان يحتجر حصيرا بالليل فيصلي، ويبسطه بالنهار فيجلس عليه، فجعل الناس يثوبون إلى النبي ﷺ فيصلون بصلاته حتى كثروا، فأقبل فقال: يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل)) أخرجه البخاري في كتاب اللباس باب الجلوس على الحصير ونحوه ح(٥٥٢٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ح(٧٨٢).

(٣) كما في حديث أنس قال: ((كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، فربما تحضر الصلاة وهو في بيتنا؛ فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس ثم ينضح، ثم يؤم رسول الله ﷺ ونقوم خلفه، فيصلي بنا، وكان بساطهم من جريد النخل)) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل ح(٥٨٥٠)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جواز الجماعة في النافلة والصلاة على حصير وخمرة وثوب وغيرها من الطاهرات ح(٦٥٩)، واللفظ لمسلم.

(٤) كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه أبي ذر رضى الله تعالى عنه قال ((خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وحده وليس معه إنسان قال فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد قال فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال من هذا قلت أبو ذر جعلني الله فداءك قال يا أبا ذر تعال قال فمشيت معه ساعة فقال إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيرا فنفح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرا قال فمشيت معه ساعة...الحديث)) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب المكثرون هم المقلون ح(٦٠٧٨)، ومسلم في كتاب الزكاة باب الترغيب في الصدقة ح(٩٤).

(٥) في النسختين: [التعبد]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [التقيد] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.